فاجعة كربلاء

الأسباب والخلفيات

إعداد
يحيىٰ قاسم أبو عوّاضة

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ / ٢٠١٧م

إخراج
دائرة الثقافة القرآنية

www.d-althagafhalqurania.com

المقدمة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم النبيين، اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وارضَ اللهم برضاك عن أصحابه الأخيار المنتجبين، وعن سائر عبادك الصالحين. وبعد

يحمل لنا شهر محرَّم الحرام ذكرى أليمة وفاجعةً كبيرة لازالت آثارها ونتائجها في أُمتنا من يوم وقوعها وإلى هذا الزمن، هي ذكرى حادثة كربلاء، ذكرى عاشوراء، ذكرى استشهادُ سبط رسول الله الإمام الحسين‹عليه السلام›.

وهذه الذكرى التي هي في العاشر من المُحرَّم، ليست هي فقط ما يربطنا بالإمام الحسين ويذكرنا به، الإمام الحسين هو علمٌ من أعلام الهدى، ومنارٌ للحق، وهو لنا القدوة والقائد والأسوة، وهو إمام المسلمين، وسبط رسول الله، وهو الامتداد للرسالة الإلهية وللنهج المحمدي الأصيل.

لقد أمر الله سبحانه وتعالى وأمر رسوله محمد ‹صلواتُ الله عليه وعلى آله› الأمةَ بأن تحب أهل بيت رسول الله وأن تتمسك بهم وتقتدي بهم ففي ذلك نجاتها وعزتها وسيادتها وسلامتها وخيرها من الدنيا إلى الآخرة؛ لأنهم الامتداد الطبيعي لرسول الله محمد، وهم قرناء القرآن الكريم، إلا أن ما حصل هو العكس: البغض لهم وإقصاءهم ومحاربتهم فكيف كانت النتيجة؟ كانت النتيجة هي أن عادت الأمة إلى جاهلية أسوأ من الجاهلية الأولى وكان البديل عن أهل البيت، هم بنو أمية بموروثهم الجاهلي واستمرت الأمة في الانحطاط حتى وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم.

وما حدث بالإمام الحسين وبأهل بيته في كربلاء - وهم أهل بيت رسول الله - كشف الوضعية السيئة التي كانت قد وصلت إليها الأمة من الانحراف الخطير عن تعاليم الإسلام وقيمه العظيمة، حيث أصبح السائد في الأمة هو الموروث الجاهلي الذي مرجعيته وقادته هم بنو أمية، وللأسف مازال هذا الموروث هو السائد في الأمة إلى اليوم وها هو النظام السعودي يحمل لواءه وبالتأكيد تحت عناوين دينية مزيفة.

وها هو الموروث الجاهلي الأموي يعمل على طمس الإسلام المحمدي الأصيل الذي لاح فجره وبدا نوره من اليمن من خلال حسين العصر السيد حسين بدر الدين الحوثي وأخيه السيد عبد الملك ‹رضوان الله عليهما› مستعيناً هذه المرة باليهود والنصارى ليس

كمستشارين كما كان يعمل أسلافهم من بني أمية وإنما كقادة لهذا العدوان ومشاركين فيه.

واستفادةً من هذه الذكرى الأليمة والفاجعة الكبرى ولاستمرارها عبر الأجيال إلى يومنا هذا الذي يعيش فيه شعبنا اليمني خصوصاً وأمتنا الإسلامية عموماً كل يوم عاشوراء على أيدي ورثة الموروث الجاهلي الأموي؛ جمعنا هذه المادة الثقافية المتعلقة بهذه المناسبة وكما نعمل دائماً اعتمادنا في إعداد هذه المادة بشكل كامل على خطابات ومحاضرات السيد حسين بدر الدين الحوثي والسيد عبد الملك بدر الدين الحوثي ‹رضوان الله عليهما› وفيما يتعلق بالنص التاريخي فقد اعتمدنا على عدد من المراجع التاريخية.

نسأل الله أن نكون قد وفقنا لتقديم ما يفيد في معركتنا ضد أعداء الله وأعداء البشرية من اليهود والنصارى وقوى النفاق والعمالة.

والله ولي الهداية والتوفيق

يحيى قاسم أبو عواضة

بتاريخ ١محرم ١٤٣٩هـ

●●●

الشعب اليمني يعيش مظلومية كربلاء

إن شعبنا اليمني اليوم يحيي هذه الذكرى وهو يعيش في واقعه المظلومية التي هي امتداد لمظلومية الإمام الحسين ‹عليه السلام›، وامتداد للمعاناة التي عانتها الأمة في كل مراحل تاريخها، من الطغيان اليزيدي، والإجرام اليزيدي. شعبنا اليمني اليوم معتداً عليه بغير حق، ذنبه تمسكه بمبادئه، تمسكه بحريته، وحقه في الاستقلال، ذنبه قِيَمُه التي أبى إلا الثبات عليها، والتي أبت له إلا أن يكون شعباً حراً وكريماً وعزيزاً.

شعبنا اليمني اليوم يعيش محنة كربلاء، وهو مظلوم، يقتل أبناؤه رجالاً ونساءً وأطفالاً، وهو يستهدف بكل أشكال الاستهداف، بدون قيود ولا حدود ولا ضوابط يلتزم بها المعتدون، أو يراعيها أولئك الطغاة المجرمون. هذه الذكرى، في هذا الواقع الذي يعيشه شعبنا، في الظروف التي يعيشها، لها أهميتها البالغة؛ لأنها ذكرى لواقع يعيشه، يعيش أجواءه، يعيش محنته، وهو أيضاً - بحكم هويته الإسلامية، وانتمائه للإسلام العظيم - شعب حمل وسام الشرف الأعلى حينما قال عنه الرسول محمد ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› - فيما روي عنه -: «**الإيمان يمان والحكمة يمانية**».

هل يمكن لشعب يحمل الإيمان، وينتسب للإيمان، ونال هذا الوسام، وسام الشرف الرفيع والعالي إلا أن يكون على الدوام في مواقفه، في انتمائه، في مبادئه، في قِيَمه، في توجُّهَاته، إلا في هذا المسار وفي هذا الطريق، متمسكاً بالإسلام العظيم، الإسلام بمبادئه الحق، الإسلام بنقائه وصفائه من كل الشوائب، الإسلام العظيم بقِيَمه المهمة القرآنية، الإسلام المحمدي الأصيل، الذي كان الإمام الحسين ‹عليه السلام› فيه رمزاً عظيماً من رموزه - ولا يزال - للأمة إلى يوم القيامة، في كل أجيالها، الذي كان الإمام الحسين ‹عليه السلام› - في مقامه، وفي موقفه، وفي حركته، وفي ثورته، وفي جهاده، وفي استشهاده وتضحيته - يحمل راية هذا الإسلام، يمثل هذا الإسلام بحق، يعبر عن هذا الإسلام بالقول وبالفعل وبالموقف.

شعبنا له ارتباط وثيق، وامتداد أصيل بالإمام الحسين ‹عليه السلام›

فشعبنا اليمني اليوم بحكم هذا الانتماء، بحكم هذه الهوية له ارتباط وثيق، وامتداد أصيل بالإمام الحسين ‹عليه السلام›، الإمام الحسين -في مقامه العظيم -رمزاً عظيماً وعلم هداية من أعلام الهدى في هذا الدين، الإمام الحسين ‹عليه السلام› وريثاً لجده المصطفى يحمل راية الإسلام، وريثاً وقريناً للقرآن الكريم، من مهامه في هذه الأمة أنه في موقع الهداية، وفي موقع القيادة، وفي الموقع الذي يتحرك فيه بالأمة ضمن هويتها الإسلامية، بقيمها الإسلامية، بمبادئها الإسلامية الحقة.

شعبنا اليمني اليوم يرى في الإمام الحسين ‹عليه السلام› الأسوة، والقدوة، وعلم الهدى الذي نحتذي به كمسلمين كمؤمنين، نقتدي به، نتأسى به، نسير في دربه، نتعاطى في واقع الحياة، ونتعاطى مع المسؤولية، ونتفاعل مع الأحداث بالمنطلقات نفسها، بالمبادئ نفسها، بالقيم نفسها التي حملها الإمام الحسين ‹عليه السلام›، والتي تمسَّك بها الإمام الحسين ‹عليه السلام›، والتي تحرك على أساسها الإمام الحسين ‹عليه السلام›؛ لأنها ليست إلا حقيقة الإسلام، وإلا جوهر الإسلام، وإلا الإسلام بنقائه بحقيقته بامتداده الأصيل والصحيح والسليم.

شعبنا يتزود من هذه الذكرى قوة الإرادة والعزم، وصلابة الموقف، والثبات الدائم

اليوم شعبنا اليمني العظيم يستفيد من هذه الذكرى ليتزود منها قوة الإرادة، وقوة العزم، وصلابة الموقف، والثبات الثبات الدائم، الثبات المبدئي، الثبات المستند إلى جوهر الإسلام وإلى قيمه، الثبات المستند إلى الإيمان بحقيقته. شعبنا اليمني اليوم يعاني حقيقة، ويعيش الواقع الكربلائي فعلاً، وحالة يومية، ولكن ذلك لا يزيده إلا ارتباطاً وثيقاً، وإلا التزاماً حقيقياً، وإلا قناعة راسخة.

إننا في هذا اليوم نستذكر الإمام الحسين ‹عليه السلام› بكل ما يمثله في موقعه في الأمة، أولاً في مقامه العظيم، مقامه العظيم كولي لله سبحانه وتعالى، من أولياء الله، من سادة المتقين، من أعلام الهداية. الإمام الحسين ‹عليه السلام› الذي قال عنه الرسول ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› ، وعن أخيه الإمام الحسن: (أنهما سيدا شباب أهل الجنة) له هذا الموقع، له هذا المقام العظيم والعالي، سيد شباب أهل الجنة بمعية أخيه الحسن ‹عليهما السلام›، بكل ما يعنيه ذلك، أنه في مسيرة الإسلام، في موقع التقوى والإيمان، في موقع القدوة والأسوة، في مكانته في الدين الإسلامي، له هذا الموقع، ننظر إلى عليائه في هذا المكان، وفي هذا المقام، هل يمكن إلا أن ننظر إليه أنه نِعْمَ الأسوة، ونعم القدوة، وأنه علم هداية، نتطلع إلى خطواته ومواقفه؛ لنهتدي بها ونقتبس منها، وكذلك إلى موقعه في المسؤولية.

لم يكن الإمام الحسين ‹عليه السلام› مجرد مؤمن عادي، وحاله حال سائر المتقين في مستوى فضلهم ومقامهم، مع عِظَمه وأهميته، ولكنه كان سيداً للمتقين، كان في موقعه في المسؤولية وريثاً للهدى، معنياً بقيادة الأمة، مؤتمناً على أمة جده رسول الله، وبالتالي فما كان يتبناه من مواقف، وما كان يتحرك فيه، وما كان يمثله هو كان في هذا الموقف، في هذا الموقع وفي هذا المستوى قائداً للأمة، هادياً للأمة. الأمة معنية أساساً في دينها في

مبادئها أن تلتزم بقيادته، أن تهتدي به، أن تحذو حذوه، أن تتحرك وتلتف حوله، هذا هو الإمام الحسين ‹عليه السلام›، وهذه هي نظرتنا المبدئية تجاه الإمام الحسين ‹عليه السلام›[1].

فمن هو؟ وما الذي حدث؟ ولماذا؟ وماهي العبر والدروس؟

من هو الإمام الحسين؟

هو الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب - ‹عليهما السلام› - أحد السبطين، وأحد سيدي شباب أهل الجنّة، وريحانتي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) وأحد الخمسة أصحاب الكساء الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وسيد الشهداء، وأُمّه فاطمة بنت رسول اللّه ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم›.

ولد سلام اللّه عليه في السنة الرابعة من الهجرة في شهر شعبان ولمّا ولد جيء به إلى رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فاستبشر به وسماه الرسول ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› حسيناً.

عاش ‹عليه السلام› طفولته مع جده رسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› وتربى في أحضانه وحظي باهتمامه فورث سلام الله عليه من جدِّه إيماناً وطهراً وصلاحاً وزكاءً ونوراً وهدى وحرصاً على هداية أمة جدِّه، حرصاً على صلاحها، حرصاً على عزتها.

عرف بالفصاحة والوفاء والكرم والشجاعة من صباه، يعامل الناس معاملة طيبة ويبصرهم بشئون دينهم دون أن يواجههم بتخطئة.

ومن آدابه وآداب أخيه الحسن ‹عليه السلام› في ذلك أنهما رأيا أعرابياً يخفف الوضوء والصلاة فلم يشاءا أن يجبهاه بغلطه وقالا له: «**نحن شابان وأنت شيخ ربما تكون أعلم بأمر الوضوء والصلاة منا، فنتوضأ ونصلي عندك، فإن كان عندنا قصور تعلمنا**» فتنبه الشيخ إلى غلطه دون أن يأنف من تنبيههما إليه.

ومر يوماً بمساكين يأكلون فدعوه إلى الطعام على عادة العرب، فنزل وأكل معهم ثم قال لهم: «**قد أجبتكم فأجيبوني**» ودعاهم إلى الغداء في بيته.

أخبر جبريل ‹عليه السلام› رسول اللّه ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› بما سيصيب الحسين بعده وأن أمته ستقتله بعده في كربلاء فكان يبكي بكاء شديداً يلثم ثغر الحسين ‹عليه السلام› ويقبله ويقول: «**حسين مني وأنا من حسين، أحب اللّه من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط**».

---

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٣٨هـ.

وروى أبو العباس الحسني يرفعه إلى ابن عباس قال: اشتد برسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› مرضه الذي مات منه فحضرتُه وقد ضم الحسين ‹عليه السلام› إلى صدره يسيل من عرفه عليه وهو يجود بنفسه وهو يقول: «**مالي وليزيد لا بارك الله في يزيد اللهم العن يزيداً. ثم غشي طويلاً وأفاق. فجعل يقبل الحسين ‹عليه السلام› وعيناه تذرفان ويقول: «أما إن لي ولقاتلك مقاماً بين يدي الله**».[1]

وبعد أن فارق رسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› الدنيا عاش محنة أبيه وأمه سلام الله عليهما بعد إقصائهما وعزلهما وظلمهما ووفاة أمه المبكر والجرح لمَّا يندمل بفراق جده رسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› وبعد ما يقرب من خمس وعشرين سنة من فراقه لجده المصطفى‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› - وما حصل من انحراف بعده أوصل غلمان بني أمية (الشجرة الملعونة في القرآن) إلى التحكم على رقاب الأمة وظلمهم؛ تسارع الأمة إلى أبيه لينقذها مما قد وصلت إليه من الضياع والتيه والظلم والجبروت، ولكن بعد أن تغيرت النفوس، وقُدمت البدائل المغلوطة ولم يعد من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه.

فعاش صراع أبيه مع الناكثين والقاسطين والمارقين، فكان أحد القادة الأبطال في جيش أبيه أمير المؤمنين علي ‹عليه السلام›، تخرج من مدرسته، وتعلم منه البطولة والشجاعة وفنون القتال، وتعلم من أبيه معالي الأخلاق وكريم الصفات.

وبعد استشهاد أبيه سلام الله عليه عاش معاناة أخيه الإمام الحسن ‹عليه السلام› وما لاقاه من المتخاذلين والتي انتهت باستشهاده أيضاً.

وعاش تَحَكُّم بني أمية وسيطرة الموروث الجاهلي بشكل كامل على الأمة وما عانته الأمة التي خذلت أباه علياً وأخاه الحسن الذين استشهدا على يد بني أمية.

إلا أن وصية أبيه أمير المؤمنين له قبيل استشهاده كانت دائماً نصب عينيه عندما أوصاهما بقوله: «**أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللهِ، وَأَنْ لاَ تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا، وَلاَ تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا، وَقُولاَ بِالْحَقِّ، وَاعْمَلاَ لِلأَجْرِ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً، وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً**.» فكان سلام الله عليه يرقب الوضع ويعمل ما بوسعه لرفع معاناة هذه الأمة وفي إصلاح الفساد المستشري في هذه الأمة وما وصلت إليه الأمة من الهوان والذل على يد بني أمية وتلافي ما يمكن تلافيه.

●●●

(١) المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني، التاريخ الإسلامي، الحدائق الوردية.

الوضعية التي كانت قد وصلت الأمة إليها عند ثورة الإمام الحسين في ظل تحكم بني أمية على هذه الأمة

غابت القيم والأخلاق من واقع الأمة، نتيجة ذلك الاستهداف لها من الحكم الأموي

للأسف الشديد غابت تلك القيم والأخلاق من واقع الأمة، غابت نتيجة ذلك الاستهداف لها في واقع الأمة من الحكم الأموي، من الظالمين بني أمية، غابت من واقع الأمة، وكان البديل عنها هو كارثة، أمر فضيع جداً، البديل عنها هو: تربية الباطل، الغدر، الظلم، الفساد، الأطماع، الكذب، نقض العهود والمواثيق، إلى غيرها.. قائمة طويلة مفردات كثيرة يمكن أن يحشدها الإنسان ويتحدث بها ليُعبِّر عن واقع الأمة فيما وصل إليه في الأعمّ الأغلب، وقد تجلَّى كثيرٌ من ذلك كله في الأحداث التي عصفت بالأمة في عهدهم.

مع هذا ساء واقع الأمة وتنكرت للغة الحق والمسؤولية والدين، وأصبحت لغة الحق وكلمة الحق لا مسموعة ولا مفهومة ولا مقبولة، ينادى بالحق في أوساط الأمة تُدعى إليه فلا تجيب، ولا تستجيب، ولا تقبل، ولا تسمع، ولا تصغي، ولا تعي بالرغم من التحرك الفاعل لأهل بيت رسول الل ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› بدءاً بالإمام علي ‹عليه السلام› ومن بعده الإمام الحسن ثم الحسين ‹عليه السلام› الذين كانوا ينادون في أوساطها يدعونها، يعملون ويحرصون على أن يدفعوها في إطار مسؤوليتها التي هي شرفها وعزها فلا تستجيب.! لغة الحق غير مقبولة، ولم يعد هذا معياراً لا لموقف، ولا لتوجه، ولا لعمل، ولا لمسار، ولا لنهج، ولا لمبدأ، لم يعد من المهم عند كثير من أبناء الأمة في موقفه أن يكون موقف حق أو لا. من الطبيعي كان حقاً أم غير حق ما كان فليكن.

وها هو الإمام الحسين يشخص الواقع الذي كانت قد وصلت إليه الأمة، وهو يرى الواقع المظلم للأمة وقد ضيَّعت الحق ولم تعد تأبه للحق ولا تبالي بالحق، فقال: «**فإن الدنيا قد تغيَّرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت جداً فلم يبق إلا صبابةٌ كصبابة الإناء، وخسيس عيشٍ كالمرعى الوبيل**» ، ما أعظم هذا التعبير، يا كم ساء واقع الأمة، و يا كم تغير إلى المستوى السيء جداً، انعكست آثاره السيئة في واقع الحياة ظلماً، معاناة، شقاء، اضطهاداً، قهراً، ساء واقع الأمة وأيما سوء حينما غاب الحق بقيمه وموقفه ومبادئه من واقع الحياة، «**ألا ترون أن الحق لا يُعمل به، وأن الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، ولا الحياة مع الظالمين إلا بَرَما**».

ثم نجد تربية الباطل التي غَيَّبت، غَيَّبت الحق فلم يعد مقبولاً ولا مسموعاً، ولا مفهوماً، ولا مرغوباً، ولا مستساغاً في واقع الأمة التي كان يُفترض بها أن تكون هي أمة الحق ﴿**وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ**﴾ [محمد:٣] ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ [العصر:٣]،

﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾ [يونس:٣٥] كل هذه المسألة انتهت من واقع الأمة إلى حد كبير، بقي صفوة الأمة قلَّة قليلة، ثم ما كان هو البديل عنه؟ وماذا كانت المعايير والأسس التي يُنطلق من خلالها وتُبنى عليها المواقف؟.

تحريف المفاهيم الدينية

لقد كان بنوا أمية كما أخبر عنهم النبي ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› «**إذا بلغ بنو أمية أربعين اتخذوا دين الله دغلاً وعباد الله خولاً ومال الله دولاً**».

جانب من «**اتخذوا دين الله دغلا**» هو: تحريف المفاهيم الدينية بما يخدم سياستهم، أولئك الظالمون الجائرون المفسدون عمدوا أيضاً كما استهدفوا القيم، استهدفوا المفاهيم كثيراً من المفاهيم، مثل شرعنة الطاعة للظالمين وإيجابها وجعلها من دين الله عبادةً وقُربةً إلى الله، جعلوا طاعة الظالمين من طاعة الله، وطاعةً لله وعبادةً لله، وقُربةً إلى الله، وجعلوها سبيل أجر وثواب وقُربة وزُلفى، وهذا من أعجب العجب، من أعجب ما حصل في تاريخ الأمة الإسلامية.! ومن أغرب ما حصل أن تشرعن، تصبح شرعية وتصبح دين، وتصبح عبادة، وتصبح قُربة طاعة الظالمين الجائرين، وقد سمعنا بعض ما قاله الله سبحانه وتعالى في الآيات التي سبقت في بداية المحاضرة.

عندما نتأمل في هذا الجانب التحريف للمفاهيم الدينية، من الذي يؤدي هذا الدور؟ ومن الذي يقوم به ويَعمد إليه؟ من هي مهمته؟ من هو الذي يشتغل هذا الشغل؟. هم علماء السوء علماء البلاط، علماء السلاطين، مع احترامي لكل العلماء الصالحين نحن لا نقصدهم، كل العلماء الصالحين المستقيمين نحن لا نقصدهم، كلامنا هنا بالتحديد عن علماء السلاطين، علماء البلاط، العلماء الذين كانوا مرتبطين بالظالمين مناصرين للظالمين، ينصرونهم عبر تاريخ الأمة وإلى عصرنا هذا لا يزالون كذلك وسيستمرون على ذلك؛ لأن العلماء صنفين: علماء سوء، وعلماء صالحين أصحاب حق وأصحاب حقيقة وواقفين في صف الحق، مُعانين مظلومين مُضطهدين.

لكن هناك علماء سوء، مهمتهم التي يمارسونها وهم جنباً إلى جنب مع الظالمين مع المفسدين مع الجائرين، مع سلاطين الجور مهمتهم هي تحريف المفاهيم الدينية، لتوظيف الدين لمصلحة الطغاة والجائرين، ولتحقيق ذلك يستخدمون أساليب متعددة منها: تنزيل النصوص الدينية في غير محلها وعلى غير واقعها وهنا جريمتان: افتراء وكذب في التوصيف، ثم جريمة التوظيف للنص الديني في غير محله.

أولاً: يقومون بتوصيف حالة معيَّنة بغير وصفها وبغير واقعها بما يتمكنون من خلاله على أن يطلقوا نصاً دينياً يوظفونه عليها ليتطابق عليها، مثلاً: يأتون إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ

﴿يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ﴾ [المائدة:٣٣] هذا نص من القرآن صحيح، آية قرآنية من كتاب الله، لكنهم يُنزِّلونها على غير محلها، يأتي - مثلاً - إلى القائمين بالقسط، القائمين بالحق، الواقفين في وجه الظلم، المنادين بالعدل والعدالة فيسمي عملهم الذي هو حق وما يقومون به في سبيل إحقاق الحق وإقامة العدل، يسميه عالم السوء، عالم البلاط، يسميه حرباً لله ورسوله وإفساداً في الأرض.. و.. إلى آخره، ويصيغ بياناً يوقِّعه مع غيره من أمثاله ويقرؤون الآية القرآنية ويدعون إلى قتلهم والتنكيل بهم وتقطيع أيديهم وأرجلهم، أو ضربهم بالطائرات أو إبادتهم بأي سلاح، يُنزل النص القرآني في غير محله، على غير واقعه، ويكذب حينما يوصِّف حالة معيَّنة أنها نفس الحالة التي يتحدث عنها النص الديني في القرآن الكريم أو من الرسول ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم›..

مثال آخر: آيات الجهاد، عندما يُنزِّل آيات الجهاد وهو يقصد التحرك في خدمة الباطل فيسميه جهاداً، يسمي القتال تحت الراية الأمريكية بعناوين طائفية أو بأي عنوان آخر، يسميه جهاداً، ثم يحشد النصوص القرآنية التي تتحدث عن الجهاد ولكن في غير محلها.

أنت عندما تقاتل لمصلحة الأمريكيين والإسرائيليين هذا ليس جهاداً، هذا شراً، هذا عدواناً، هذا ظلماً، هذا بغياً، لا يسمى جهاداً أبداً، عندما تتحرك في أوساط الأمة تحت عناوين طائفية تُطلق على أولئك أنهم رافضة، ثم تحشر النص القرآني الذي يتحدث عن الجهاد في غير محله.

مثال آخر: عندما كانوا يقولون سواءً عن الإمام الحسين ‹عليه السلام› أو غيره من الثوار الذين ثاروا قياماً بالحق ونصرةً للحق وإقامةً للعدل من بعد الإمام الحسين ‹عليه السلام› كانوا يقولون (شقّ عصا المسلمين) شقّ عصا المسلمين!. وفي الحقيقة هو شقّ عصا المجرمين، عصا الظالمين، عصا الجائرين التي بها يضربون الأمة ويسوقون الأمة إلى جهنم، إلى الخسران إلى الشقاء في حياتها في الدنيا وفي الآخرة، شقّ عصا الجائرين، أما المسلمين لم يشق عصاهم هو يعمل لقوتهم، لعزتهم.

مثال آخر: هو التكفير، عندما يطلق التكفيريون مسمى الكفر على مسلمين؛ لأنهم اختلفوا معهم في المذهب أو في الفكر أو في التوجه، فيطلقون عليهم كفاراً ثم يوردون كل النصوص القرآنية التي تتحدث عن الكافرين وكأنها تعني أولئك وهي لا تعنيهم، هم المسلمون حقاً في الأساس، هذا واحدٌ من أساليب التحريف للمفاهيم الدينية من خلال تنزيل النص الديني في غير محلِّه على غير واقعه بتوصيف كاذب وافتراء وبهتان.

أسلوب آخر من تحريف المفاهيم من خلال: تقديم مفاهيم باطلة، باطلة من الأساس والافتراء على الله وعلى رسوله لإضفاء شرعيتها واعتبارها من الدين، مثلما تقدّم من شرعنة طاعة الظالمين الجائرين واعتبارها من طاعة الله وعبادةً إلى الله وقربة إلى الله، هذا واحد من الأساليب.

أفسدوا القِيَم، وقوَّضوا الأخلاق، وحرَّفوا المفاهيم، وزيَّفوا الوعي، وقلَّبوا الحقائق، وأضلُّوا كثيراً

«**اتخذوا دين الله دَغلاً**» فأفسدوا القيَم، وقوَّضوا الأخلاق، وحرَّفوا المفاهيم، وزيَّفوا الوعي، وقلَّبوا الحقائق، وأضلُّوا كثيراً وضلُّواَ عن سواء السبيل. «**واتخذوا عباد الله خَولاً**» فاستعبدوهم وسخّروهم لخدمتهم ومصالحهم. ومظاهر الاستعباد والسُخرة للأمة من جانب حُكَّام الجور والظالمين متعددة وعلى كل المستويات:

على المستوى العسكري وفي ميادين القتال؛ حيث يدفعون الكثير من الناس للقتال والقتل في سبيل تقوية أمرهم، واستحكام سلطانهم، وتعزيز هيمنتهم، وسطوةً منهم بالمستضعفين، وظلماً للمظلومين، وبطشاً بالصالحين، وتنكيلاً بالأحرار، وإذلالاً للناس، وإنفاذاً لأمرهم الباطل فيما ليس لله فيه رضى، ولا للأمة فيه خيرٌ ولا مصلحة.

وعلى المستوى الثقافي والفكري؛ حيث يدفعون بعلماء البلاط ووعاظ السلاطين لتحريف المفاهيم وشرعنة الظلم، وتدجين الأمة باسم الدين، وإبعادها عن النهج القويم.

وعلى المستوى الإعلامي؛ حيث يدفعون البعض ليكونوا أبواقاً لهم، وألسنة سوءٍ كاذبة، فينشرون الشائعات الباطلة والأكاذيب، ويقولون الزور والبهتان، ويزيفون الواقع والحقائق، ويكتبون بأقلامهم المأجورة كذلك، خدمةً وسُخرةً وشكلاً من أشكال العبودية للطغاة.

«**واتخذوا مال الله دُولاً**» فينهبون خيرات الأمة وثروات الشعوب، ويستأثرون بالمال العام، ويتداولون به في مصالحهم الشخصية على سبيل الترف والإسراف، ولشراء الولاءات والمواقف، وشراء الذمم، ويتركون الأمة تعاني ويلات الفقر، ونكد العيش، والمعاناة بكل أشكالها.

وهكذا مضى واقع الأمة الإسلامية على امتداد التاريخ منذ استحكام القبضة الأموية على سلطان الأمة وإلى اليوم، إلاّ في الحالات النادرة والمحدودة والاستثنائية.[1]

في بعضٍ من الحالات استوى واقع الأمة في إسلامها وفي جاهليتها

في بعضٍ من الحالات استوى واقع الأمة في إسلامها وفي جاهليتها، وبقي في واقع الناس من الإسلام واقعاً شكلياً بعيداً عن الجوهر والمضمون والأساس الفاعل والمؤثر في حياة الناس، وبذلك فعلاً كانت المأساة كبيرة جداً؛ لأنهم غيَّبوا من الدين ما به صلاح الناس والحياة وما تتعزز به مكارم الأخلاق والصفات الحميدة وما يبني واقع الأمة على ما أراده الله لها كأمة مستخلفة في الأرض، لها مسؤولية كبيرة ويُناط بها مهام عظيمة وجسيمة، ويُراد لها أنْ يكون لها الريادة والسيادة في الأرض، ووصلت الأمور إلى أن كانت فعلاً الحالة التي عاشها الإمام الحسين ‹عليه السلام›. ما قبل الشهادة حالة غربة، وهي لغربة تلك القيم والأخلاق في واقع الأمة.

هذه الأمة للقيم والأخلاق دورٌ أساسيٌ في دينها، ومعظم الدين هو قيم وأخلاق، جانب كبير من الدين مرتبط أساساً بالأخلاق والقيم، وما يتفرع في واقع الإنسان من العمل على

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٣٦ هـ.

المستوى الفردي أو في واقع الناس على المستوى الجماعي من الأعمال والتصرفات هي ترجمة لتلك القيم وهي تفريعات عن تلك القيم وعن تلك الأخلاق تجسدها وتتفرع عنها وتعبِّر عنها، فهي نتاجٌ لها، أعمال الإنسان وتصرفاته هي نتاج لأخلاقه على ضوء أخلاقه، بطبيعة أخلاقه يتصرف، يعمل، يعامل، يتخذ المواقف قوله وفعله وتصرفاته كلها.

بنو أمية عملوا على تغييب أهل البيت من ذاكرة الأمة

هكذا يُنسى الحسين كما يُنسى قبله محمد، كما يُنسى فيما بينهما علي، كما يُنسى القرآن، كما تُتَجاهل كل تلك الآيات القرآنية أكثر من خمسمائة آية في القرآن الكريم تتحدث عن الجهاد في سبيل الله، والمئات الأخرى من الآيات القرآنية التي لها موقف واضح تجاه الظالمين، وتجاه الكافرين، وتجاه الجائرين، تجاه أهل الكتاب، تجاه اليهود والنصارى، يتم تجاهل ذلك كله.

لكن تُقدم صورة أخرى عن الدين، عن الإسلام، عن رموز الإسلام، عمن يجب أن ترتبط الأمة بهم، عمن يجب أن تقتدي الأمة بهم، من أحوج ما تحتاج إليه الأمة أن تكون على بصيرة بمن ترتبط بهم في موقع القدوة؛ وإلا فللأسف الشديد يصبح التنصل عن المسؤولية، الرفض للجهاد، الابتعاد عن الحق، الابتعاد عن الموقف القرآني من الظالمين والجائرين والرضوخ لهم، والسكوت والصمت والتنصل عن المسؤولية، يصبح ديناً يتديَّن به البعض! وتتحول المساجد إلى سجون للظالمين، يُسجن الناس فيها سجناً ويُدجَّنُون من خلالها، ويصبح مشروعاً: مشروع علمي، مشروع ديني، مشروع يتم التوجه على أساسه في واقع الحياة والحث عليه والدعوة إليه، وهذه قضية خطيرة.

وكم نحتاج في عصرنا هذا وهو عصر خطر جداً، السكوت فيه جريمة كبيرة، المخاطر فيه على الأمة مخاطر كبيرة، ليس لها سابقة، مخاطر كبيرة جداً، الأمة على حافة الهاوية، استحكام قبضة الأعداء من اليهود والنصارى عليها إلى مستوى ليس له سابق، ليس له مثيل فيما مضى، وأمام هذه المخاطر الكبيرة تحتاج الأمة إلى هذه الروحية، روحية الإمام الحسين وعزيمته.[1]

هلاك معاوية وصعود يزيد

وفي منتصف شهر رجب سنة ستين من الهجرة معاوية بن أبي سفيان يغادر الدنيا بعد حياة حافلة بالظلم والطغيان والفساد والتحريف للدين وبعد أن أحيا الموروث الجاهلي وأعاد الأمة إلى جاهلية هي أسوأ من الجاهلية الأولى، ولم يكتف بما فعل بالأمة في حياته وإنما ختم

(١) من خطاب السيد عبد الملك لمناسبة عاشوراء ١٤٣٢ هـ

حياته بتنصيب ابنه يزيد السكير الخمير المستهتر بالدين وبالأمة وبالمقدسات على رقاب هذه الأمة ليواصل مسيرة الظلم والطغيان.

ومما جاء في عهد تنصيبه: "هذا ما عهد (به) معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى ابنه يزيد بن معاوية: أنه قد بايعه، وعهد إليه، وجعل الأمر من بعده إليه، وسماه أمير المؤمنين، على أن يحفظ هذا الحي من قريش، ويبعد قاتل الأحبة هذا الحي من الأنصار، وأن يقدم بني أمية وبني عبد شمس على بني هاشم وغيرهم... إلى أن قال: فمن قرئ عليه هذا الكتاب وقبله وبادر إلى طاعة أميره أُكرِم وقرب، ومن تلكأ عليه وامتنع فضرب الرقاب".

فلما خرجوا من عنده أقبل على يزيد وقال: يا بني إني قد وطأت لك البلاد، وأذللت الرقاب وبُوئت بالأوزار، ولست أخاف عليك من هذه الأمة إلاّ أربعة نفر من قريش: فرخ أبي تراب شبيه أبيه، وقد عرفت عداوته وعداوة آله لنا، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الرحمن بن أبي بكر.

فأما عبد الرحمن بن أبي بكر فمغرم بالنساء، فإن بايعك الناس بايعك، وأما ابن عمر فما أظن أنه يقاتلك ولا يصلح لها، فإن أباه كان أعرف به، وقد قال: كيف أستخلف رجلاً لم يحسن أن يطلق امرأته.

وأما الحسين بن علي فإن أهل العراق لا يدعونه حتى يخرجوه عليك ويكفيكه الله بمن قتل أباه، وأما ابن الزبير فإن أمكنتك الفرصة فقطعه إرباً إرباً فإنه يجثم جثوم الأسد ويروغ روغان الثعلب.[1]

الإمام الحسين يُطلَب منه البيعة ليزيد

فلما توفي معاوية سنة ٦٠هـ واعتلى يزيد - المعروف بسكره ومجونه - الخلافة وتسمى بأمير المؤمنين كتب إلى ولاته بأخذ البيعة له. وكان الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والياً على المدينة فكتب إليه يزيد أن يأخذ البيعة من أهل الحجاز، ومن أبى منهم قتله، وشدد عليه بأخذ البيعة من الحسين ‹عليه السلام› وعبدالله بن الزبير.

دعا الوليد (مروان بن الحكم) واستشاره. فقال: أحضرهم الساعة قبل أن ينتشر موت معاوية فمن أبى البيعة فاضرب عنقه. فقال الوليد: والله لا أفعل. أأقتل الحسين؟

فقال مروان كالمستهزئ به: أصبت.

ودعا الوليد الحسين بن علي وابن الزبير، فقال ابن الزبير للحسين ‹عليه السلام›: فيمَ تراه بعث إلينا هذه الساعة؟

---

(١) المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني.

قال: إني أظن أن طاغيتهم قد هلك، فيريد معاجلتنا بالبيعة ليزيد الخمور قبل أن يدعو الناس، فقد رأيت البارحة فيما يرى النائم منبر معاوية منكوساً وداره تشتعل نيراناً.

ثم عاودهما رسول الوليد، فدخل الحسين ‹عليه السلام› منزله فاغتسل وتطهر وصلى عدة ركعات ودعا واستخار الله، ودعا جماعة من أهل بيته ومواليه وأمرهم بحمل السلاح، وقال لهم: إن الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يكلفني فيه أمراً لا أجيبه إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معي فإذا دخلت إليه فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا.

فصار الحسين ‹عليه السلام› إلى الوليد بن عتبة فوجد عنده مروان بن الحكم فنعى إليه الوليد معاوية فاسترجع الحسين ثم قرأ عليه كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة منه له.

فقال الحسين ‹عليه السلام›: فنصبح ونرى في ذلك، فقال الوليد: انصرف حتى تأتينا مع الناس.

فقال مروان: والله لئن فارقك الساعة ولم يبايع لا تقدر منه على مثلها أبداً حتّى يكثر القتلى بينكم وبينه، احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه.

فوثب الحسين ‹عليه السلام› عند ذلك وقال: أنت يا ابن الزرقاء تقتلني أم هو؟ كذبت والله وأثمت. (١)

ثم أقبل على الوليد فقال: أيها الأمير! إنا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون، وننظر وتنظرون، أينا أحق بالبيعة والخلافة، ثم خرج ‹عليه السلام›.

ولحق به مروان فقال: يا أبا عبد الله أطعني وبايع أمير المؤمنين يزيد.

فقال الإمام الحسين ‹عليه السلام›: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويلك يا مروان، مثلك يأمرني بطاعته، وأنت اللعين ابن اللعين على لسان رسول الله؟!

فرادَّه مروان. فخرج مغضباً. (٢)

(١) المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني ، بحوث في الملل والنحل لسبحاني .
(٢) المصابيح في السيرة لأبي العباس الحسني.

الإمام الحسين يقرر الثورة ويتجه صوب مكة

وداع الحسين لقبر جده المصطفى

لما كان بعض الليل أتى الحسين ‹عليه السلام› قبر رسول الله فودعه وصلى ما شاء الله وغلبته عيناه، فرأى كأن رسول الله صلّى الله عَلَيْه وآله وسَلّم في محتوشين به فاحتضنه وقبَّل بين عينه وقال: يا بني العجل العجل، تأتي يا بنيَ إلى جدك وأبيك وأمك وأخيك.

فانتبه ‹عليه السلام› وأخبر أهل بيته.

ثم ودعهم وخرج بمن خرج معه من ولده وإخوته وبني أخيه وبني عمه نحو مكة، فقدمها وأقام بها خمسة أشهر أو أربعة.[1]

الإمام الحسين يخرج من مدينة جده المصطفى

يصور السيد عبد الملك حفظه الله هذا المشهد المؤلم فيقول:

مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت يوماً ما منطقة عامرة بالإسلام، عامرة بالحق، من على منبر المسجد كان يوجِّه رسول الله محمد ذلك النور الإلهي وحي الله الطري المُنزل وبه يعالج قلوباً مرضى ويشفي نفوساً ويزكيها ويطهِّر قلوباً ويقوِّم سلوكاً وعملاً، يبني هذه الأمة ويصلحها.

ومن ساحة تلك المدينة كانت تتحرك ألوية الجهاد وسرايا الجهاد في سبيل الله تحت قيادة النبي من أجل الإسلام، من أجل أن يسود العدل، أن يقوم الحق، أن يزول الظلم، أن تُطهَّر الأرض من الفساد والجريمة؛ لكن في مرحلة متأخرة بعد أفاعيل وعمل ومشاريع لهدم هذه الأمة ولهدم جهود النبي في هذه الأمة، وجد الإمام الحسين نفسه غريباً في مدينة جدِّه لا ناصر ولا مجيب، يدعو فلا مجيب له، يضطر لأن يخرج من تلك المدينة خروج موسى من مصر، وخروج رسول الله من مكة وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ﴾[القصص:٢١].

من مدينة جدِّه حيث يرقد النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك الثرى وفي تلك التربة وجد ابنه، حفيده، نسخته المصغَّرة، وريثه في الأمة، القائم مقامه وجد نفسه غريباً لا مجيب ولا ناصر، التخاذل قد ساد ذلك المجتمع، الرضا بكل شيء، القبول بكل شيء، القبول بأن يُظلَموا، القبول بالفساد، القبول بالجريمة، مجتمع لا يوجد عنده أي ممانعة.

خرج واتجه صوب مكة، وهناك على أمل اجتماع الناس في الحج وفي فريضة الحج أن يحاول

---

(١) نفس المصدر السابق.

سبط رسول الله وحفيد رسول الله ونسخة رسول الله المصغرة، يحاول أن يستنهض الناس هناك في مكة المكرمة أثناء فريضة الحج أو توافدهم من أجل فريضة الحج أن يستنهضهم، أن يُذكِّر الأمة بمسؤوليتها، أن يُذكِّر الأمة بالخطورة الكبيرة حينما سلَّمت زمامها وقيادها وشؤونها ودينها ودنياها لطاغية فاجر فاسق تعرف الأمة فجوره وفسقه وطغيانه ولا يمكن أن يُقدَّم لهذه الأمة إلا ما يتحلَّى به وإلاَّ ما عُرف عنه.

وصل مكة والتقى بوفود الحجيج من شتى أقطار العالم الإسلامي وبصوته الحُرّ، صوت الحُريَّة، صوت الحق، صوت القرآن، صوت الإسلام، ذكَّر الأمة هناك، المذكِّر هو الحسين معروف بمقامه في هذه الأمة برؤياه، بكلماته، بمواقفه، نتذكر الجنة حينما نعرف أنه سيد شباب أهل الجنة، يقود إلى الجنة، يسير في اتجاه الجنة، في اتجاه رضوان الله، إلى الله إلى العز إلى المجد، لكن لا مجيب، كان يقول: «**إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا تكبراً ولا ظالماً ولا مفسداً إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي**» ؛ لأن الأمة فعلاً كانت بحاجة إلى إصلاح، أمة فسدت وفقدت كل القيم، فقدت الضمير، فقدت المسؤولية، فقدت العز، فقدت الطُّهر، فقدت الصلاح.

«**إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي**» ؛ لأنه يعرف أن مسؤوليته من بعد جدِّه أن يسير على خطى جدِّه وفي طريق جدِّه محمد؛ لإصلاح أمة جدِّه، «**أريد أن آمر بالمعرف وأنهى عن المنكر**».

فلم يكن موقفه ناشئاً عن فراغ أبداً، ولم يكن منافياً للحكمة، ولم يكن تهوراً، ولم يكن من أجل قضية شخصية، كان لهذا الهدف العظيم، لهذا الهدف السامي، على هذا الأساس، الذي هو أساس إيماني نابع من إيمان، نابع من الهدى «**إنما خرجت لطلب الإصلاح في أُمَّة جدِّي**» ، إصلاح في واقع هذه الأمة، الواقع السيئ الخطير على الأمة نفسها، الخطير على الأمة نفسها، «**أريد أن آمر بالمعرف وأنهى عن المنكر**» باعتبار هذا مسؤولية حتميَّة يفرضها القرآن، يفرضها الله، يفرضها الإيمان نفسه، الدافع الإيماني نفسه.

فالإمام الحسين ‹عليه السلام› وهو يتحرك على هذا الأساس، على أساس إصلاح واقع هذه الأمة، الأمة التي أراد الله لها كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ**﴾ [آل عمران:١١٠]هذا هو البنيان، هذا هو الأساس، هذا هو الصرح الذي أُريد لهذه الأمة أن يكون بنيانها على أساسه، أمة تأمر بالمعروف، أمة تقيم العدل، تقيم الحق، أمة - حتى تكون بهذا المستوى وتتحمل هذه المسؤولية - تحتاج إلى أن تكون مهتدية، تكون نفوس أبنائها نفوساً زاكية، وقلوباً طاهرة، وسلوكاً مستقيماً، وساحة داخلية طاهرة ونظيفة، حتى تكون بمستوى هذه المسؤولية: تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتنطلق على أساس الإيمان بالله سبحانه وتعالى.

تحتاج أمة كهذه لتكون في مستوى هذه المسؤولية أن يكون من يقودها، من يكون متحكماً

بها، راعياً لها، رمزاً من رموز الحق، وعلماً من أعلام الهدى، قريناً للقرآن، من أولياء الله سبحانه وتعالى؛ لكن للأسف الشديد، المدى الذي كانت قد وصلت إليه الأمة من الانحراف، كان قد أوصلها إلى مستوى التنكُّر للقرآن ومبادئه، التنكُّر للحق، العداوة للحق حتى أصبحت مهيَّأة أن يكون معظم جماهيرها جاهزون وحاضرون لأن يتحركوا بسلاحهم بعتادهم ضد من يعمل على هدايتهم، ضد من يسعى لإنقاذهم، ضد من يعمل رأفة بهم وشفقة عليهم؛ ليخرجهم من الظلمات إلى النور، من الضلال إلى الهدى، من مستنقع الظلم والفساد إلى واحة العدل، إلى طريق الحق.

هكذا كانت الأمة قد هُيِّئت وانحرفت إلى حدٍّ كبير، وتنكرت لقرآنها، لربها، لتعاليم دينها، وخنعت وخضعت لطغاتها، لأشرارها، لسُفهائها، لجبابرتها، من ليس لديهم أي حرص عليها، ولا شفقة بها، ولا إرادة للخير لها.[1]

كانت مسؤولية الإمام الحسين تجاه أمة جده تفرض عليه أن يتحرك في أوساطها وأن يدعوها إلى التحرك ورفض الباطل

الإمام الحسين لم يقبل أبداً بالبيعة ليزيد، ولم يقبل أبداً بالخنوع والسكوت والجمود؛ لأنه يدرك مدى خطورة ذلك، كان إيمانه، وكانت عزته، وكانت قيمه، نفسيته العظيمة التي تشبعت بالإيمان بكل ما في الإيمان، وبالارتباط الوثيق بالله سبحانه وتعالى، كانت تأبى له أن يسكت، أو أن يخضع، أو أن يستسلم، أو أن يتقبل بهذا الواقع السيئ، وكانت مسؤوليته من موقعه بالمسؤولية تجاه أمة جده تفرض عليه أيضاً أن يتحرك في أوساط الأمة، وأن ينادي بأعلى الصوت وبكل قوة بالموقف الحق، وأن يدعو الأمة إلى التحرك الصحيح لرفض كل ذلك الباطل السيئ، الذي يراد له أن يفرض عليها وأن يتحكم بها.

فالإمام الحسين ‹عليه السلام› تحرك عن وعي، عن بصيرة، عن قناعة راسخة، تحرك بحركة القرآن، بما يمليه عليه القرآن، بما تمليه عليه هويته الإيمانية، وارتباطه الوثيق، وبما تفرضه عليه المسؤولية، تحرك بكل عز، وبكل إباء، وبكل شموخ، وهو يقول: «**ويزيد فاسق فاجر، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله**» ، ويرى الحالة الجديدة التي قد سادت في واقع الأمة، وفي أوساط الأمة، بكل ما تمثله من خطورة رهيبة على الأمة.

يرى أن هناك شكلاً جديداً للإسلام، ليس هو الإسلام المحمدي، ولا الإسلام القرآني، هو الإسلام بلباسه الأموي، بثوبه الأموي الجديد، ثوب النفاق، ثوب الضلال، الذي يريد أن يسود في واقع الأمة إسلاماً لا يبقى منه إلا شكليَّات مُجَيَّرة بما يخدم الظالمين، مُجَيَّرة

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة عاشوراء١٤٢٩هـ.

فيما يفيدهم ويدعم موقفهم، تبقى المساجد لخدمتهم، والمنابر لخدمتهم، والمال العام لخدمتهم، وبعض العناوين الدينية التي تُفرَّغ من محتواها الحقيقي، ثم تُضَمَّن بمحتوى آخر هو باطل، هو ضلال، هو فساد، يبقى العنوان عنواناً إسلامياً، والمضمون مضموناً أموياً نفاقياً، كله ضلال، وكله طغيان، وكله انحراف بالأمة.

يرى هذا الواقع المُرّ، هذا الواقع المأساوي الذي عبر عنه بقوله هو ينادي في أوساط الأمة: «**ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يُتَنَاهى عنه**»، الحق يزاح من واقع الحياة، يبقى الإسلام بدون حق، أي إسلام هذا الذي أزيح منه الحق، الحق بكل تفاصيله، الحق في عقيدة الأمة، الحق في ثقافة الأمة، الحق في سياسة الأمة، الحق في العمل، والحق في الموقف، والحق في السلوك، الحق يزاح من واقع الحياة، يبقى الإسلام حينئذ -وقد أزيح عنه الحق -مجرد عناوين شكلية مُجَيَّرة لصالح الطغاة، ولصالح المستكبرين.

أما الباطل فهو الذي يسود ويحضر وتَحْتَ الغطاء الذي له عناوين إسلامية؛ تحته الباطل بكل ما فيه، الباطل بكل تفاصيله، الباطل ظلماً الباطل فساداً، الباطل منكراً الباطل بكل ما يشمل ويتضمن، حينئذ تكون العملية عملية مسخ لهوية الأمة، وعملية تفريغ للدين بكله من محتواه الفاعل والحيوي والمهم والبنَّاء والمفيد في واقع الحياة.

وهذا الذي رأينا آثاره السيئة في واقع الأمة، على مدى تاريخها، وإلى ما وصلت إليه اليوم، وهو واقع مأساوي ومرير.

الإمام الحسين ‹عليه السلام› قال للأمة في عصره وفي كل عصر فيما قاله رسولها محمد ‹صلواتُ الله عليه وعلى آله›: «**أيها الناس، إن رسول الله قال: من رأى سلطاناً جائراً، مُستَحلّاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان؛ فلم يغيِّر عليه بفعلٍ ولا قولٍ كان حقاً على الله أن يدخله مدخله**»، وإذاً فانتماؤنا نحن المسلمين لهذا الإسلام يفرض علينا - كفرض ديني، ومسؤولية دينية - أن لا نذعن، وأن لا نستكين، وأن لا نخنع لسلاطين الجور، لزعماء الطغيان والظلم والفساد والإجرام.

حينما يكون مَن يحكم الأمة، مَن هو في موقع الزعامة والقرار والسلطة سلطاناً جائراً لا يلتزم بالعدل، يعتمد على الجور في ممارساته وحكمه ومواقفه وإدارته للأمة، ثم هو مستحلّ لما حرم الله، ليس لديه ضوابط، ولا قيود أبداً، ولا حرمة لحرم الله، وحرمُ الله هي التي تصون الأمة، سَفْكُ الدِّماء بغير حق هو من حُرَم الله، الأمة بكلها، الإنسان بكرامته، الإنسان بكرامته وحقه في الحياة؛ هو من حُرَم الله، حُرَمُ الله إذا استُحلت معناه: أن تُستباح الأمة، ويُستباح في واقع الأمة كل شيء.

وهذه النماذج هي التي نراها اليوم ماثلة أمامنا، وهي النماذج التي اليوم تعتدي على بلدنا، وبلدُنا اليوم يُراد له أن ينسلخ من كل هذه المبادئ والقيَم؛ لأنها هي التي تمثل ضمانة لتماسكه ولثباته ولصلابة موقفه.[1]

---

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٣٨هـ.

الإمام الحسين ثار ليخلص الأمة من واقع الظلم الرهيب

ما الذي دفع الإمام الحسين ‹عليه السلام› -سبط رسول الله محمد صلى الله عليه وعلى آله علم الهدى وقرين القرآن -إلى ذلك التحرك الذي ضحى فيه بنفسه، وضحى فيه بأسرته وأهل بيته، وضحى فيه بالبقية الباقية من أهل الوفاء الذين كانوا أوفياء معه، ما هو ذلك التحدي؟ ما هي تلك الأخطار؟ ما هي تلك الأحداث؟

إننا حينما نعود إلى تاريخ الأمة نجد أن الانحرافات الكبرى في واقع الأمة، وأن المتغيرات التي عصفت بالأمة نتج عنها أمر خطير للغاية، نتج عنها وصول شخص مجرم ظالم مستكبر طاغية مستهتر بالإسلام جملة وتفصيلاً، لا قيمة عنده لشيء في الإسلام، ولا من الإسلام، مستهترٍ حتى برسول الإسلام.. نبي الإسلام، حتى بالقرآن الكريم، مستهتر بالأمة الإسلامية كلها، يرى فيها الرعية العبيد، يرى فيها الأمة التي يريد أن يركعها له، أن يخضعها له، أن يستبعدها بكل ما تعنيه الكلمة، وصول هذا الطاغية نتيجة الانحرافات السابقة إلى موقع القرار، إلى موقع السلطة، إلى موقع الحكم؛ أميراً على الأمة، قائداً للأمة، زعيماً للأمة، سلطاناً على الأمة؛ كان يمثل خطورة كبيرة جداً على الأمة في كل شيء، ابتداءً في هويتها الإسلامية، ومبادئها، وقِيَمِها، وأخلاقها، يمثل خطورة حقيقية على الإسلام بكله جملة وتفصيلاً.

ولذلك كانت المسألة مسألة خطيرة جداً، يترتب عليها نتائج كارثية في واقع الأمة، يترتب عليها هدم حقيقي لكل الجهود التي كان قد بذلها وقدمها رسول الله محمد ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› ، ومن معه من المؤمنين، وذهاب لكل تلك التضحيات سدى، واستئناف للجاهلية بشكل أبشع وأسوأ مما كانت عليه، وبشكل فظيع في واقع الأمة من جديد.

فلذلك الإمام الحسين ‹عليه السلام› كان ببصيرته العالية، بعلمه، بفهمه الصحيح، وهو قرين القرآن الكريم، شخَّصَ حقيقة الخطر، ومستوى الخطر، وبالتالي اتخذ قراره في طبيعة الموقف فتحرك.[1]

الإمام الحسين بخروجه جسد قيم الإسلام

هنا نشير إلى موضوع مهم جداً هو كيف جسَّد الإمام الحسين الإسلام، كيف مثَّل الإسلام، كيف قدَّم الإسلام في مواقفه، في ثباته، في سلوكه، في صبره، في صموده؟، وهذا درس مهم لهذه الأمة ونحتاج إليه حاجة ماسة في هذا العصر، عصر مليء بالطغاة والطغيان والمجرمين والظلم والاستبداد.

---

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٣٨هـ.

الإمام الحسين ‹عليه السلام› حينما وصل إلى كربلاء وحُوصِر هناك ووقف بوجهه حتى أولئك الذين كاتبوه وراسلوه وعاهدوه، فتغيروا وتغيرت مواقفهم نتاج تلك التحولات التي سمَّيناها (انقلاباً) في المجتمع الإسلامي، وقفوا حتى هم بوجهه، وقفوا جنوداً مجنده مع من؟ مع ابن زياد ويزيد، مع الفجور، مع الظلم، مع الطغيان، مع الحقد والضغينة، مع الفساد، مع المنكر، ووقفوا بوجه الحسين وهم يعرفون من هو، ويعرفون دعوته وماذا يريد وماذا يسعى إليه وهو الخير لهذه الأمة، هو خير لهذه الأمة، هو يريد لهذه الأمة السعادة والعزة، في تلك الحال وقف الإمام الحسين ‹عليه السلام› بين خيارين: بين أن يصمد على مبدئه وعلى موقفه ويثبت ولو ضحَّى بما ضحَّى ولو كان حجم المظلومية والأسى والألم على مستوى كبير، أو أن يتراجع أو أن يسكت أو يتغير كما كان الحال الأغلب بالنسبة للأمة حتى بوجهائها، بعلمائها، بعبَّادها، بكبارها آنذاك. [1]

الإمام الحسين لم يكن شخصاً غريباً

الإمام الحسين ‹عليه السلام› لم يكن شخصا غريباً على هذه الأمة، ولا كانت دعوته مُستهجنة ولا مُنكرة ولا من خارج الدين ومنبع الهدى الذي تنتمي إليه هذه الأمة.

الحسين ‹عليه السلام› رجل معروف سبط النبي ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم›، وأن يكون سبط النبي فهو يعني: أنه في الدرجة الثانية، بعد الأنبياء أوصياؤهم، وبعد الأوصياء الأسباط، هو سبط النبي ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› وهو الشخص الذي وقف النبي يوماً أمام الملأ ليقول للأمة عنه: «**حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط**» حينما وقف النبي ذلك الموقف ليقول لأمته هذا الكلام فهو يُقدِّم الحسين على أنه نسخة مصغَّرة من رسول الله، عندما يقول: «**حسين مني وأنا من حسين**»، حسين يُمثِّل رسول الله في هذه الأمة، نسخة مصغَّرة من الرسول ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم›. على أن يكون هو بعد جدِّه في مرحلة معيَّنة، في وقت معيَّن، في زمن معيَّن يتولَّى هو موقف النبي ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم›، يقف مقام النبي ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم›. ورث من جدِّه إيماناً وطهراً وصلاحاً وزكاءً ونوراً وهدى وحرصاً على هداية أمة جدِّه، حرصاً على صلاحها، حرصاً على عزتها.

النبي ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› عندما أخبر الأمة عن الحسين ‹عليه السلام› وأنه سيُقتَل بسيوف هذه الأمة في حالة انقلاب من هذه الأمة هو ذكَّر بقضية حتى ما يكون هناك أي اشتباه في الحسين ولا في قضيته ولا في مقامه.

إذاً مقام الحسين ‹عليه السلام›. مقام معروف، الحسين لم يكن مجهولاً ولم تكن قضيته

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة ١٤٢٩هـ

مشتبهة حتى أن الأمة لا تعرف هل هو على حق أم هو على باطل! لا؛ لكن الأمة هي التي كانت هي قد وصلت إلى حالة خطيرة من الابتعاد عن قيم الإسلام من بعد وفاة الرسول ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› ؛ حيث رُبِّيت تربية ثانية ،تربية تختلف عن تربية الإسلام، تختلف عن تربية القرآن، تختلف عن تربية محمد ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› ، تربية توصل إلى أن يكون الإنسان في ذلك المستوى الدنيء يُجنِّد نفسه ويُعبِّد نفسه مع الطغاة المجرمين، مع من يذهبون به إلى نار جهنم ، مع من يدفعون به في مواقف كلها ظلم، كلها باطل، كلها طغيان يكون الإنسان قد وصل إلى حالة يقبل بأن يكون مجرماً، مفسداً، رذيلاً، تافهاً، حقيراً يُدنِّس نفسه، يدفع بنفسه في مواقف هي إثم، هي عدوان، هي باطل، والبعض الآخر يقبل بأن يكون شاهد زور ومتفرجاً على الأحداث وكأنه غير معني بما يحصل، قد ذهبت من نفسه روح المسؤولية والشعور بالمسؤولية التي ربانا عليها الإسلام ، وربانا عليها رسول الإسلام محمد وهي نتاج تربية القرآن الكريم.

عندما خرج الإمام الحسين ‹عليه السلام› في هذه الأمة في مرحلة معيَّنة قد قبلت هذه الأمة بأن يحكمها ويدير شؤونها ويتحكم في رقابها ويتولى عليها ويتولى أمرها وشأنها ودينها ودنياها رجل هو من أسوأ الناس، شيطان من شياطين الإنس، مجرم من أكابر المجرمين، أمة كان فوقها محمد، كان يديرها محمد، كان يوجهها محمد، كان يدير شؤونها محمد، كان يقودها محمد، فإذا هي تذهب بنفسها لتكون تحت ولاية وقيادة مجرم من أسوأ المجرمين هو يزيد، يزيد القرود، يزيد الخمور، تذهب من الطهر إلى الدنس، إلى الرجس، تبتعد عمَّن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، عن سبط رسول الله، عن سيد شباب أهل الجنة الذي يقود هذه الأمة إلى الجنة، تذهب إلى يزيد وتقبل بيزيد ويتحكم بشؤونها يزيد، يقودها، يسودها، يتولى دينها ودنياها، يتحكم على رقاب أهلها ويستعبدهم.

ويزيد أيضاً لم يكن شخصاً مجهولاً

يزيد لم يكن أيضاً شخصية مجهولة، الأمة تعرف أنه هو عنصر ضال مفسد مجرم، مشهور بالخمر، مشهور وهو يجعل على أحد الكرسيين الذين بجواره على أحدهما قرداً وعلى الآخر سرجون النصراني، سرجون النصراني، سرجون الرومي كان رجلاً يمثِّل ما يمثله السفراء الأمريكيون اليوم في المنطقة العربية، سرجون النصراني كان يمثل السفير للروم للنصارى عند يزيد ومستشاراً ليزيد، يشير عليه بالرأي ويدبِّره ويوجِّهه ويأمره وينهاه، كان بجوار يزيد عن يمينه قرد وعن يساره ماذا؟ عن يساره سرجون النصراني رجل نصراني يحمل كل الحقد والضغينة على هذه الأمة، لا يريد لهذه الأمة ولا ذرَّة من الخير، ولا يهمه أن يكون لها أي شيء من الصلاح، أن يتولى أمة كان على رأسها محمد، محمد النبي، محمد العظيم، محمد الزكي ليكوِّن أو ليصنع من هذه الأمة أمة عظيمة، طاهرة، مقدسة، رسالتها عظيمة، ساحتها

طاهرة ونظيفة، أمة قوية عزيزة شريفة طاهرة، رسالتها الإسلام، رسالتها المعروف، موقفها ضد، ضد المنكر، أن يصل الحال إلى أن يكون من يسودها ويقودها ويتحكم برقاب أهلها وفي شؤون حياتهم وأمورهم رجل الخمر، كؤوس الخمر كانت نادراً ما تفارقه حتى في مجالسه العامة، المُجُون، الفسق، الجريمة.

وإنسان هو على هذا النحو إنسان مجرم، فاسق، فاسد، فاجر، ماذا يمكن أن يُقدِّم للأمة؟! ماذا يمكن أن يعمل للأمة؟! هل سيصنع للأمة مجداً؟! هل سيسود في أمة - هو يقودها - الخير؟! معه الجريمة، معه الظلم، معه الطغيان يُفسد هذه الأمة، يُضلّ هذه الأمة، يُدنِّس هذه الأمة، يكسبها من رجسه ويصبغ عليها من فجوره وطغيانه ورذيلته وسوئه وقبحه فيحوِّل هذه الأمة التي أُريد لها أن تكون أمة عظيمة، ممجدة، طاهرة، صالحة تنشر دين الله في الأرض وتقيم الحق وتقيم العدل وتقيم الخير وتتجه إلى طريق الله وإلى الجنَّة، إلى السعادة، إلى الفلاح، مثل هذه الأمة عندما يسودها ويقودها ويتحكم بشؤونها مجرم لن يُقدَّم للأمة إلا الجريمة وإلا الفساد وإلا الظلم وتتضرر الأمة.[1]

مسلم بن عقيل مبعوث الحسين ‹عليه السلام›

نعود إلى النص التاريخي لما حدث والذي رواه المؤرخون ومنهم-المؤرخ أبو مخنف:

بلغ أهل الكوفة نزول الإمام الحسين ‹عليه السلام› مكة وإعلانه الثورة على الظلم وأنه لم يبايع ليزيد فوفد إليه وفدٌ منهم، عليهم أبو عبد الله الجدلي وكتب إليه شبث بن ربعي، وسليمان ابن صُرد، والمسيّب بن نجبة، ووجوه أهل الكوفة يدعونه إلى بيعته وخلع يزيد.

فقال لهم: أبعث معكم أخي وابن عمي فإذا أخذ لي بيعتي وأتاني عنهم بمثل ما كتبوا به إلي قدمت عليهم.

ودعا مسلم ابن عقيل فقال: اشخص إلى الكوفة فإن رأيت منهم اجتماعاً على ما كتبوا ورأيته أمراً ترى الخروج معه فأكتب إليّ برأيك.

فخرج حتى قدم الكوفة، ونزل دار المختار بن أبي عبيد الثقفي وبايعه من أهلها ثمانية عشر ألفاً سوى أهل البصرة، وحلفوا بأيمان مغلظة ليجاهدن معه بأموالهم وأنفسهم.

فكتب مسلم بن عقيل إلى الإمام الحسين ‹عليه السلام› يستقدمه ويستحثه.

دخل رجل ممن يهوى يزيداً يقال له عبد الله بن مسلم الحضرمي على النعمان بن بشير وهو والي الكوفة من قبل النظام الأموي فأخبره بما حصل مع مسلم بن عقيل.

وقال له: إنك لضعيف.

---

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٢٩ هـ.

فقال النعمان: لأن أكون ضعيفاً في طاعة الله خير من أن أكون قوياً في معصيته.

فكتب بشأنه إلى يزيد، فاستشار (سرجون) النصراني وكان لا يخالفه فقد كان يمثّل ما يمثله السفراء الأمريكيون اليوم في المنطقة العربية وكان مستشاراً ليزيد، يشير عليه بالرأي ويدبّره ويوجّهه ويأمره وينهاه.

فقال: ليس لها إلاّ عبيد الله بن زياد، وكان عامله على البصرة، وكان يزيد واجداً عليه وهَمَّ بعزله.

فكتب إليه بولايته على الكوفة مع البصرة، وأمره أن يدس إلى مسلم بن عقيل حتى يأخذه.

فخرج عبيد الله بن زياد حتى أتى الكوفة فدخلها متلثماً، فجعل يمر بمجالسهم يسلم عليهم فيردون عليه وعليك السلام يا بن رسول الله، وهم يرون أنه الحسين بن علي ‹عليهما السلام›.[1]

قال أبو مخنف: إن ابن زياد أقبل من البصرة ومعه مسلم ابن عمر الباهلي، والمنذر ابن عَمرو بن الجارود، وشريك ابن الأعور، وحشمه وأهله، حتى دخلوا الكوفة وعليه عمامة سوداء ومتلثم والناس ينتظرون قدوم الحسين عليهم، فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلّموا عليه وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله قدمت خير مقدم، ورأى منَ الناس من تباشُرهم بالحسين ما ساءه، فأقبل حتى دخل القصر.

قال: لما نزل ابن زياد القصر نودي في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمع إليه الناس فخرج إلينا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد: فإن أمير المؤمنين [يزيد] ولاّني مصركم وثَغركم وفيئَكم، وأمرني بإنصاف مظلومكم وإعطاء محرومكم، وبالإحسان إلى سامعكم ومطيعكم وبالشدّة على مُريبكم، فأنَا من مطيعكم كالوالد البر الشفيق، وسيفي وسوطي على من ترك أمري وخالف عهدي، فليبق أمرئٌ على نفسه (الصدق ينبئ عنك لا الوعيد) ثم نزل.

سمع مسلم بن عقيل بمجيئ عبيد الله بن زياد ومقالته فأقبل حتى أتى دار هانئ بن عروة المرادي، فدخل في بابه فأرسل إليه أن أخرج إلي، فقال: إني أتيتك لتجيرني وتُضيفني.

قال له: رحمك الله لقد كلّفتني شرطاً لولا دخولك داري وثقتك بي لأحببت لشأنك أن تنصرف عني؛ غير أني أخذني من ذلك ذمام، أدخل، فدخل داره.

فأقبلت الشيعة تختلف إليه في دار هانئ بن عروة، وجاء شريك ابن الأعور حتى نزل على هانئ في داره وكان شيعياً.

(١) المصابيح لأبي العباس الحسني.

ابن زياد يعمل على اكتشاف مكان مسلم بن عقيل

ودعا ابن زياد مولى له يقال له معقل، فقال له: خذ هذه الثلاثة الآلاف الدرهم ثم التمس لنا مسلم ابن عقيل واطلب شيعته وأعطهم الثلاثة الآلاف الدرهم، وقل لهم استعينوا بهذه على حرب عدوكم وأعلمهم بأنك منهم.

ففعل ذلك وجاء حتى لقي مسلم بن عوسجة الأسدي في المسجد الأعظم، وسمع الناس يقولون هذا يبايع للحسين بن علي وكان يصلي فلما قضى صلاته جلس إليه فقال له: يا عبد الله إني أمروٌ من أهل الشام مولى لذي الكلاع أنعم الله عليّ بحب أهل البيت وحب من أحبهم، وهذه ثلاثة آلاف درهم معي أردت بها لقاء رجل منهم بلغني أنه قدم الكوفة يبايع لابن بنت رسول الله، وكنت أحب لقاءه لأعرف مكانه، فسمعت نفراً من المسلمين يقولون هذا رجلٌ له علمٌ بأمر أهل هذا البيت، وإني أتيتك لتقبض مني هذا المال وتدلني على صاحبي فأبايعه.

فقال له مسلم ابن عوسجة: أحمد الله على لقائك، فقد سرني ذلك لتنال ما تحب ولينصر الله بك أهل بيت نبيه ‹صلواتُ الله عليه وعلى آله› ولقد سآءني معرفة الناس إيايَ بهذا الأمر، قبل أن يتم مخافة سطوة هذا الطاغية الجبار فأخذ منه البيعة قبل أن يبرح، وأخذ عليه المواثيق المغلظة ليُناصحنّ وليَكتُمنّ فأعطاه من ذلك ما رضي به.

ثم قال له: اختلف إليَّ أياماً في منزلي، فأنا أطلب لك الإذن على صاحبي، وأخذ يختلف مع الناس يطلب ذلك إليه حتى عرف مكان مسلم بن عقيل.

مرض شريك بن الأعور وكان كريماً على ابن زياد وكان شديد التشيُّع، أرسل إليه عبيد الله إني رائحٌ إليك العشية فُعائدك.

فقال شريك لمسلم بن عقيل: إن هذا الفاجر عائدي العشية فإذا جلس فاقتله ثم اقعد في القصر وليس أحد يحول بينك وبينه، فإن أنا برئتُ من وجعي من أيامي هذه سرت إلى البصرة وكفيتُك أمرها.

فلمَّا كان العشي أقبل ابن زياد لعيادة شريك بن الأعور فقال شريك لمسلم: لا يفوتنَّك الرجل إذا جلس، فقام إليه هانئ فقال: إني لا أحبُ أني يقتلَ في داري؛ كأنه أستقبح ذلك.

فجاءه عبيد الله بن زياد فدخل وجلس وسأل شريكاً ما الذي تجد؟ ومتى اشتكيت؟ فلمَّا طال سؤاله إياه ورأى أن أحداً لا يخرج خشيَ أن يفوته، فأقبل يقول:

ما الانتظار بسلمَى أن تحيوها　　حيُّوا سُليما وحيّوا من يُحيِّها
كأس المنية بالتعجيل فاسقوها

لله أبوك اسقنيها وإن كانت فيها نفسي.

قال ذلك مرتين أو ثلاثاً.

فقال عبيد الله وهو لا يَفطَن: ما شأنه أترونه يهجر؟ فقال له هانئ: نعم اصلحك الله، ما زال هكذا من قبل غياب الشمس إلى ساعتك هذه.

ثم قام ابن زياد وانصرف.

فخرج مسلم فقال له شريك: ما منعك من قتله؟

فقال خَصلتان: أما إحداهما فكراهية هانئ أن يُقتل في داره، وأما الأخرى فحديث حدثنيه الناس عن النبي ‹صلواتُ الله عليه وعلى آله› أن الإيمان قيد الفتكَ فلا يفتُك مؤمن [1].

يعقِّب السيد حسين ‹رضوان الله عليه› على هذه المسألة وهو يشرح قصة مسلم بن عقيل بقوله:

لكن روي بأن رسول الله ‹صلواتُ الله عليه وعلى آله› كلف شخصين بقتل يهودي. يعني هناك مثلاً نوعية من الناس الذي قد صار مثلاً بمستوى المحارب المعلن الذي ليس فيه شك أنه شديد الضر؛ أنه هو نفسه رأس العدو مثلما قتل الرسول اليهودي (أرسل اثنين ليقتلاه).

(فقال له شريك: أما والله لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً ظالماً) وهنا يقول السيد حسين رضوان الله عليه: ربما لو قتله لاحتلت المشكلة بكلها والإمام الحسين متجه إلى العراق. لأنه قد وضع له خطة: قال اقتله، واذهب إلى قصر الإمارة، وأنا عندما تتحسن حالي سأذهب إلى البصرة وأكفيك البصرة وشأنها، والحسين قد صار متجهاً سيصل الكوفة ومسلم في دار الإمارة فلا يتمكن يزيد أن يأتي بجيش من الشام إلا وقد استقام أمرهم.

الجاسوس يدخل على مسلم بن عقيل

قال: فأقبل ذلك الرجل يختلف إليهم، فهو أول داخلٍ وآخر خارجٍ يسمع أخبارهم، ويعلم أسرارهم وينطلق بها حتى يُقرّها في أذن ابن زياد.

قال المدائني في روايته: فقال ابن زياد يوماً ما يمنع هانئاً[2] منا؟ فلقيه ابن الأشعث، وأسماء بن خارجة، فقالا له: ما يمنعك من إتيان الأمير وقد ذكرك، قال: فأتاه، فقال ابن زياد لعنه الله شعراً:

أريدُ حياته ويريد قتلي عذيركُ من خليلك من مرادِ

يا هانئ أسلّمت على ابن عقيل؟ وفي رواية: اشتملت[3] قال: ما فعلت؟

فدعا ابن زياد معقل الجاسوس فقال: أتعرف هذا؟ قال نعم. وأُصدقك ما علمتُ به حتى رأيته في داري، وأنا أطلب إليه أن يتحول.

---

(١) الفتك يعني: القتل غدراً وخدعة.

(٢) هانئ هو من وجهاء أهل الكوفة، وكان العادة إذا جاء أمير يستقبل وجهاء الناس.

(٣) يعني سترته في بيتك.

قال: لا تفارقني حتى تأتيني به، وأغلظ له وضرب وجهه بالقضيب وحبسه.

وقال عمر بن سعد عن أبي مخنف قال: حدثني الحجاج بن علي الهمداني قال: لما ضرب عبيد الله هانئاً وحبسه خشي أن يفتك الناس به، فخرج فصعد المنبر ومعه ناس من أشراف الناس وشرطه وحشمه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس اعتصموا بطاعة الله وطاعة أئمتكم، ولا تفرقوا فتختلفوا وتهلكوا وتذلوا وتخافوا وتُخرجوا، فإن أخاك من صدقك وقد أعذر من أنذر.

فذهب لينزل فما نزل حتى دخلت النظارة المسجد من قبل التمّارين ويقولون قد جاء بن عقيل، فدخل عبيد الله القصر وأغلق بابه.

وعن عبد الله بن حازم البكري قال: أنا والله رسول بن عقيل إلى القصر؛ لأثر هانئ لأنظر ما صار إليه أمره، فدخلت وأخبرته الخبر فأمرني أن أنادي في أصحابي وقد ملئ الدور منهم حواليه، فقال: نادي (يا منصور أمت) [1]

فخرجتُ فناديتُ، وتبادر أهل الكوفة فاجتمعوا إليه، فعقد لعبد الرحمن بن عزيز الكندي على ربيعة، فقال له: سر أمامي وقدّمه في الخيل، وعقد لمسلم بن عوسجة على مذحج وأسد، وقال له: أنزل فأنت على الرجالة، وعقد لأبي تُمامة الصائبي على تميم وهمدان، وعقد للعباس بن جعدة الجدلي على أهل المدينة، ثم أقبل نحو القصر.

فلما بلغ عبيد الله إقباله تحرَّز في القصر وغلّق الأبواب، وأقبل مسلم بن عقيل حتى أحاط بالقصر.

فو الله ما لبثنا إلا قليلاً حتى أمتلئ المسجد من الناس والسوق، ما زالوا يتوثَّبونَ حتى المساء، فضاق بعبيد الله أمره ودعا بعبد الله بن كثير ابن شهاب الحارثي.

ابن زياد ومعرفته بتركيبة المجتمع واستغلالها

كان ابن زياد يعرف كيف قد صارت تركيبة المجتمع في الكوفة بعد أن ترسخت ثقافة الانتماءات القبلية على حساب الانتماء الديني الذي كان قد رسخه رسول الله ‹صلواتُ الله عليهِ وعلى آله› ولمعرفته بذلك فقد دعا وجوه أهل الكوفة وأعطاهم الأموال الكثيرة وحبسهم عنده في القصر.

قال أبو مخنف: فحدثني سليمان بن أبي راشد عن عبد الله بن حازم البكري قال: أشرف علينا الأشراف وكان أول من تكلم كثير ابن شهاب فقال: أيها الناس الحقوا بأهاليكم ولا تعجَّلوا، انتشروا ولا تعرضوا أنفسكم إلى القتل، فهذه جنود أمير المؤمنين يزيد قد أقبلت،

(١) هذا كان شعار يستخدمونه.

وقد أعطى الأميرُ الله عهداً لئن أقمتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم هذه أن يحرم قبيلتكم العطاء، ويفرق مقاتليكم في مغازي الشام، ويأخذ البريء بالسقيم والشاهد بالغائب حتى لا يبقي فيكم بقية من أهل المعصية إلا أذاقها وبال ما جنت، وتكلم الأشراف بنحوٍ من كلام كثير فلما سمع الناس مقالتهم تفرقوا.

قال أبو مخنف: حدثني المجالد بن سعيد أن المرأة كانت تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف الناس يكفونك.

ويجيئ الرجل إلى ابنه وأخيه فيقول: غداً يأتيك أهل الشام فما تصنع بالحرب والشر، انصرف؟

فما زالوا يتفرقون وينصرفون حتى أمسى ابن عقيل وما معه إلا ثلاثون نفساً، حتى صليت المغرب فخرج متوجها نحو ابواب كندة فما بلغ الأبواب إلا ومعه منها عشرة.

ثم خرج من الباب فإذا ليس معه منهم إنسان.

مسلم بن عقيل وحيداً في أزقة الكوفة

فمضى متلدداً في أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب حتى خرج إلى دور بني جديلة من كندة فمضى حتى أتى باب امرأة يقال لها (طوعة) أم ولد كانت للأشعث وأعتقها، فتزوج بها سيف الحضرمي، فولدت له بلالاً وكان بلال قد خرج مع الناس وأمه قائمةً تنتظر، فسلم عليها ابن عقيل، فردت السلام.

فقال لها: اسقيني ماءاً.

فدخلت فأخرجت إليه إناءً فشرب، ثم أدخلت الإناء وخرجت وهو جالس في مكانه.

فقالت: ألم تشرب؟

قال: بلى.

قالت: فأذهب إلى أهلك؟ فسكت. فأعادت إليه ثلاثا فقالت: سبحان الله يا عبد الله قم إلى أهلك عافاك الله، فإنه لا يصلح لك الجلوس على بابي ولا أحله لك.

ثم قام فقال: يا أمة الله والله ما لي في هذا المصر من أهل فهل لك في معروف وأجرٍ لعلي أكافئك به بعد اليوم؟.

قالت: يا عبد الله ومن أنت؟.

قال: أنا مسلم بن عقيل كذّبَني هؤلاء القوم وغرّوني وخذلوني.

قالت: أنت مسلم؟.

قال: نعم.

قالت: ادخل.

فأدخلته بيتاً في دارها وفرشت له وعرضت عليه العشاء، وجاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت، فسألها فقالت: يا بني إلهُ عن هذا؟.

قال: والله لتخبريني، وألحَّ عليها فقالت: يا بني لا تخبر به أحداً من الناس، وأخذت عليه أيمان فحلف لها، فأخبرته فاضطجع وسكت.

فلما طال على ابن زياد ولم يسمع أصوات أصحاب ابن عقيل قال لأصحابه: اشرفوا فانظروا، فأخذوا ينظرون وأدلوا القناديل وأطنان القصب، تشد بالحبال وتدلى وتلهب فيها النار، حتى فعل ذلك في الأظلة التي في المسجد كلها.

فلمَّا لم يروا شيئاً أعلموا ابن زياد؛ ففتح باب السدة وأمر أن ينادى في الناس برئة الذمة من رجلٍ صلى العتمة إلا في المسجد.

واجتمع الناس في ساعة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد: فإن ابن عقيل السفيه الجاهل قد أتى ما قد رأيتم من الخلاف والشقاق، فبرئت ذمة الله من رجلٍ وُجد في داره، ومن جاء به فله ديته، اتقوا الله عباد الله والزموا طاعتكم ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً.

يا حصين بن تميم ثكلتك أمك إن ضاع شيء من سكك الكوفة أو خرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلطتك على دور أهل الكوفة، فابعث مراصدة على أفواه السكك، وأصبح غداً تستبرئ الدور[1] حتى تأتي بهذا الرجل ثم نزل.

فلما أصبح أذن للناس فدخلوا عليه وأقبل محمد بن الأشعث فقال: مرحباً بمن لا يتهم ولا يُستغش، وأقعده إلى جنبه. وأصبح بلال فغدا إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث وأخبره بمكان ابن عقيل عند أمه.

فأقبل عبد الرحمن حتى أتى إلى أبيه وهو جالسٌ فساره.

فقال له ابن زياد: ما قال لك؟ قال: أخبرني أن ابن عقيل في دارٍ من دورنا.

فنخسه ابن زياد بالقضيب في جنبه ثم قال قم فأتني به الساعة.

قال أبو مخنف: فحدثني قدامة بن سعد عن ابن زائدة الثقفي، أن ابن زياد بعث مع ابن الأشعث ستين أو سبعين رجلاً كلهم من قيس عليهم عمرو بن عبيد الله بن العباس السلمي، حتى أتو الدار التي فيها ابن عقيل.

فلمَّا سمع وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال عرف أنه قد أُتي.

فخرج إليهم بسيفه فاقتحموا عليه الدار فشد عليهم كذلك.

---

(١) يعني فتشها كلها.

فلمَّا رأوا ذلك أشرفوا عليه من فوق السطوح وظهروا فوقه فأخذوا يرمونه بالحجارة ويلهبون النيران في أطنان القصب ثم يقذفونها عليه من فوق السطوح.

فلمَّا رأى ذلك قال: أكل مَّا أرى من إجلاب لقتل ابن عقيل؟

ثم قال: يا نفس اخرجي إلى الموت الذي ليس منه محيص.

فخرج ‹رضوان الله عليه› مصلتاً سيفه إلى السكة، فقاتلهم.

فأقبل عليه محمد بن الأشعث فقال له: يا فتى لك الأمان لا تقتل نفسك.

فأقبل يقاتلهم وهو يقول:

أقسمت لا أُقتلُ إلا حرا ... وإن رأيتُ الموتَ شيئاً نكرا

أخافُ أن أُكذبَ أو أُغرا ... أو يُخلطُ البارِدُ سخناً مرا

رد شعاعَ الشمس فاستقرا ... كل امرئٍ يوماً ملاقٍ شرا

قال له محمد بن الأشعث: إنك لا تُكذب ولا تغر، إن القوم ليسوا بقاتليك ولا ظالميك.

وقد أثخن بالجراح وعجز عن القتال فانبهر وأسند ظهره إلى دارٍ بجنب تلك الدار فدنى منه محمد ابن الأشعث فقال له: لك الأمان.

فقال له مسلم: آمنٌ أنا؟.

قال: نعم. أنت آمن.

فقال القوم جميعاً نعم غير عبيد الله بن عباس السلمي؛ فإنه قال لا ناقة لي في هذا ولا جمل وتنحى.

وقال ابن عقيل: إني والله لولا أمانكم ما وضعت يدي في أيديكم، وأُتيَ ببغلة فحمل عليها فاجتمعوا عليه فنزعوا سيفه من عنقه فكأنه أيس من نفسه فدمعت عينه وعلم أن القوم قاتلوه.

وقال: هذا أول الغدر.

فقال له محمد بن الأشعث: أرجوا ألاّ يكون عليك بأس.

فقال: ما هو إلا الرجاء!، فأين أمانكم؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، وبكى.

فقال له عبيد الله ابن عباس السلمي: إن مثلك ومن يطلب مثل الذي طلبت إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك،

قال: إني والله ما أبكي لنفسي ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفاً؛ ولكني أبكي لأهلي المقبلين إليَّ، أبكي الحسين وآل الحسين.

ثم أقبل على ابن الأشعث فقال: إني والله أظنك ستعجز عن أماني، وسأله أن يبعث رسولاً إلى الحسين بن علي يعلمه الخبر، ويسأله الرجوع فقال له الأشعث: والله لأفعلنَّ.

قال أبو مخنف فحدثني قدامة بن سعد أن مسلم بن عقيل حين انتهى به إلى القصر رأى قلةً مبردةً موضوعةً على الباب.

فقال: أسقوني من هذا الماء؟

فقال له مسلم بن عمر أبو قتيبة ابن مسلم الباهلي: أتراها ما أبردها، فوالله لا تذوق منها قطرةً واحدة حتى تذوق الحميم في نار جهنم.

فقال له مسلم بن عقيل: ويلك ولأمك الثُكل، ما أجفاك وأفضّك وأقسى قلبك، أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم، ثم جلس وتساند إلى الحائط.

قال أبو مخنف: فحدثني أبو قدامة بن سعد أن عمرو بن حُريْث: بعث غلاماً له يدعى سليمان، فأتاه بماء في قلةٍ فسقاه.

قال وحدثني مدرك سعيد بن عمارة أن عمارة بن عقبة بعث غلاماً يدعى قيساً، فأتاه بماء في قلة عليها منديل وقدحٍ معه، فصب فيه الماء ثم سقاه، فأخذ كلما شرب أمتلأ القدح دماً فأخذ لا يشرب من كثرة الدم.

فلما ملأ القدح المرة الثالثة ذهب ليشرب فسقطت ثنيتاه في القدح فقال: الحمد لله لو كان لي من الرزق المقسوم لشربته.

قال: ثم أُدخل على عبيد الله بن زياد - لعنه الله - فلم يسلم عليه.

فقال له الحرس: ألا تسلم على الأمير؟.

فقال: إن كان الأمير يريد قتلي فما سلامي عليه؟ وإن كان لا يريد قتلي فليُكثرنَّ سلامي عليه.

فقال له عبيد الله لعنه الله: لتُقتلنّ.

قال: أكذلك؟

قال: نعم.

قال: دعني إذاً أوصي إلى بعض القوم.

قال: أوصي إلى من أحببت.

فنظر ابن عقيل إلى القوم وهم جلساء ابن زياد وفيهم عمر بن سعد فقال: يا عمر إن بيني وبينك قرابة دون هؤلاء، ولي إليك حاجةٌ وقد يجب عليك لقرابتي نجح حاجتي وهي سرٌ فأبى أن يمكنه من ذكرها.

فقال له عبيد الله بن زياد: لا تمتنع من أن تنظر في حاجة ابن عمك فقام معه وجلس حيث ينظر إليهما ابن زياد لعنه الله.

فقال له ابن عقيل: إن عليّ بالكوفة ديناً استدنته منذُ قدمتها فاقضه عني حتى يأتيك من غِلتي في المدينة، وجثتي فاطلبها من ابن زياد فوارها، وابعث إلى الحسين من يرده.

فقال عمر لابن زياد: أتدري ما قال؟

قال: أكتم ما قال لك.

قال: أتدري ما قال لي، قال: هات فإنه لا يخون الأمين ولا يؤتمن الخائن.

قال: كذا.. وكذا.

قال: أما مالك فهو لك ولسنا نمنعك منه فاصنع فيه ما أحببت، وأما حسين فإنه إن لم يردنا لم نرده، وإن أرادنا لن نكف عنه، وأما جثته فإنا لا نُشفّعك فيها فإنه ليس لذلك منا بأهل وقد خالفنا وحرص على هلاكنا.

ثم قال ابن زياد لمسلم: قتلني الله إن لم أقتلك قتلةً لم يُقتلها أحدٌ من الناس في الإسلام.

قال: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما ليس فيه، أما إنك لم تدع سوء القتلة، وقُبح المُثلة، وخبث السيرة، ولؤم الغيلة لمن هو أحق به منك.

ثم قال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه ثم قال: ادعوا الذي ضربه ابن عقيل على رأسه وعاتقه بالسيف فجاءه، فقال: اصعد وكن أنت الذي تضرب عنقه، وهو بكير بن حُمران الأحمري لعنه الله.

فصعدوا به وهو يستغفر الله ويصلي على النبي ‹صلواتُ الله عليه وعلى آله› وعلى أنبيائه ورسله وملائكته وهو يقول: «**اللهم احكم بيننا وبين قومٍ غرّونا وكادونا وخذلونا**»

ثم أشرفوا به على موضع الحذّائين فضُرب عنقه ثم أتبع رأسه جسده رحمة الله عليه.[1]

وأمر بهانئ فشق عرقوباه وجعل فيهما حبل، وجرّا إلى الكناسة وصلبا فيها.

فهو حيث يقول عبد الله بن الزَّبير الأسدي:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري	إلى هانئ في السوق وابن عقيل
أصابهما فرخ البغيّ فأصبحا	أحاديث من يسري بكل قبيل
تري جسداً قد غير الموت حاله	ونضخ دم قد سال كل مسيل

وكان مقتل مسلم يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة سنة ستين، ويومئذ خرج الحسين من مكة نحو العراق.[2]

الإمام الحسين يتجه صوب العراق

في مكة المكرمة الإمام الحسين ‹عليه السلام› سبط رسول الله ‹صلواتُ الله عليه وعلى آله› أوضح للحجيج ضرورة التحرك والثورة في مواجهة الظالمين وأنه لم يعد من الممكن

(١) تاريخ أبي مخنف.
(٢) المصابيح لأبي العباس الحسني.

السكوت على ظلم وطغيان بني أمية واستعبادهم للأمة واستهتارهم بالدين ولكن دون جدوى فتحرك الإمام الحسين ‹عليه السلام› صوب العراق استجابة لدعوات أهل العراق المتكررة فلعل وعسى يجد من ينصره ويقف معه وقبل الحديث عن رحلته الشاقة إلى العراق.

يقول السيد عبد الملك حفظه الله وهو يتحدث عن هذا الخروج:

من مكة اتجه صوب العراق حيث شيعة أبيه وحيث وصلت إليه الكثير من الرسل والكتب التي تعلن الاستجابة له، وتعلن التأييد له، وأنه سيجد في العراق مجتمعاً يقبل بالحق وينصر الحق ويقف مع الله ومع الإسلام، مع أولياء الله، مع الخير، مع الصلاح، اتجه صوب العراق وهو في كل منزل ينزل به، وأمام كل جماعة يجتمع بها يذكّر، يذكّر الأمة بمسؤوليتها، يذكّر الأمة بواجبها، يذكّر الأمة بالخطر الكبير الذي أصبحت فيه.

وكان يؤكد للأمة حتمية وضرورة الموقف الذي تحرك فيه وأنه لا يمكن أبداً أن يكون الموقف تجاه الباطل وتجاه الضلال وتجاه الظلم وتجاه الفساد وتجاه المنكر، أن يكون هو السكوت والتنصل واللّامبالاة، لا يمكن أبداً أن يكون الموقف الصحيح هو ذلك.

خرج الإمام الحسين ‹عليه السلام› من مكة بعد أن أبلغ الحجة على الناس الذين حضروا إلى المشاعر المقدسة لأداء فريضة الحج وأطلعهم على الوضع السيئ الذي قد وصلت إليه الأمة في ظل طغيان بني أمية وظلمهم وتضليلهم وتحريفهم وفسادهم وأعلن استعداده الكامل لقيادة الثورة في وجه الظالمين والعمل على تغيير واقع هذه الأمة مبيناً لهم بأن الثورة صارت للأمة ضرورة..[1]

واتجه سلام الله عليه صوب العراق بناء على الكتب والرسائل التي وصلت إليه من هناك تدعوه إلى التحرك والخروج والثورة واستعدادهم للجهاد في سبيل الله معه.

ومما عزز من استعداده للذهاب إلى العراق ما وصله من قبل مسلم بن عقيل مبعوثه إلى الكوفة والذي أخبره في رسالة بعثها إليه بأن الأمور مهيأة لاستقباله.

زهير بن القين البجلي

توجه الإمام الحسين ‹عليه السلام› من مكة إلى العراق وكان زهير بن القين البجلي قد حج، فلما عاد جمعهما الطريق، وكان يساير الحسين من مكة إلا أنه لا ينزل معه، فاستدعاه يوماً الحسين فشق عليه ذلك ثم أجابه على كره، فلما عاد من عند الحسين نقل ثقله إلى ثقل الحسين ثم قال لأصحابه: من أحب منكم أن يتبعني وإلا فإنه آخر العهد، وسأحدثكم حديثاً: غزونا بلنجر ففُتِح علينا وأصبنا غنائم ففرحنا وكان معنا سلمان الفارسي فقال لنا: إذا أدركتم سيد شباب آل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم بما أصبتم اليوم من الغنائم.

(١) من خطاب عاشوراء للسيد عبدالملك لعام ١٤٢٩هـ.

فأما أنا فأستودعكم الله! ثم طلق زوجته وقال لها: الحقي بأهلك فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خير. ولزم الحسين ‹عليه السلام›.

وخلال مسيره سلام الله عليه أتاه خبر قتل مسلم بن عقيل بالثعلبية فقال له بعض أصحابه: ننشدك إلا رجعت من مكانك فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة بل نتخوف عليك أن يكونوا عليك!

ولكنه أصر على مواصلة السير حتى انتهى إلى منطقة اسمها زبالة، فأتاه خبر مقتل أخيه من الرضاعة عبد الله بن بقطر، وكان سرَّحه إلى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يعلم بقتله، فأخذته خيل الحصين بن نمير، فسيَّره من القادسية إلى ابن زياد.

فقال له بن زياد: اصعد فوق القصر والعن الكذاب ابن الكذاب ثم انزل حتى أرى فيك رأيي. فصعد فأعلم الناس بقدوم الحسين ولعن ابن زياد وأباه، فألقاه من القصر فتكسرت عظامه.

فلما أتى الحسين ‹عليه السلام› خبر قتل أخيه من الرضاعة ومسلم بن عقيل أعلم الناس ذلك وقال: قد خذلنا شيعتنا فتفرق عنه الناس حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من مكة، وإنما فعل ذلك لأنه علم أن الأعراب ظنوا أنه يأتي بلداً قد استقامت له طاعة أهله فأراد أن يعلموا على ما يقدمون.

ثم سار حتى نزل بطن العقبة، فلقيه رجلٌ من العرب فقال له: أنشدك الله لما انصرفت فوالله ما تقدم إلا على الأسنة وحد السيوف، إن هؤلاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤونة القتال ووطؤوا لك الأشياء فقدمت عليهم لكان ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التي تذكر فلا أرى أن تفعل. فقال: إنه لا يخفى عليّ ما ذكرت ولكن الله، عز وجل، لا يُغلب على أمره. ثم ارتحل منها.[1]

الحر بن يزيد الرياحي مقدمة طلائع جيش ابن زياد

وسار الحسين من شراف، فلما انتصف النهار كبَّر رجلٌ من أصحابه، فقال له: مم كبرت؟ قال: رأيت النخل. فقال رجلان من بني أسد: ما بهذه الأرض نخلة قط! فقال الحسين: فما هو؟ فقالا: لا نراه إلا هوادي الخيل. فقال: وأنا أيضاً أراه ذلك. وقال لهما: أما لنا ملجأ نلجأ إليه نجعله في ظهورنا ونستقبل القوم من وجه واحد؟ فقالا: بلى، هذا ذو حسم إلى جنبك تميل إليه عن يسارك فإن سبقت القوم إليه فهو كما تريد. فمال إليه، فما كان بأسرع من أن طلعت الخيل وعدلوا إليهم، فسبقهم الحسين إلى الجبل فنزل.

وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي ثم اليربوعي، فوقفوا مقابل الحسين وأصحابه في نحر الظهيرة.

---

(١) المصابيح لأبي العباس الحسني.

فقال الحسين لأصحابه وفتيانه: اسقوا القوم ورشفوا الخيل ترشيفاً. ففعلوا.

وكان مجيء القوم من القادسية، أرسلهم الحصين بن نمير التميمي في هذا الألف لملاقاة الحسين.

فلم يزل الحر مواقفاً الحسين حتى حضرت صلاة الظهر، فأمر الحسين مؤذنه بالأذان، فأذن، وخرج الحسين إليهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنها معذرة إلى الله وإليكم، إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم ورسلكم أن اقدم إلينا فليس لنا إمام لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فإن تعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم أقدم مصركم، وإن لم تفعلوا أو كنتم بمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلى المكان الذي أقبلت منه.

فسكتوا وقالوا للمؤذن: أقم، فأقام، وقال الحسين للحر: أتريد أن تصلي أنت بأصحابك؟ فقال: بل صل أنت ونصلي بصلاتك. فصلى بهم الحسين، ثم دخل واجتمع إليه أصحابه وانصرف الحر إلى مكانه، ثم صلى بهم الحسين العصر، ثم استقبلهم بوجهه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد أيها الناس فإنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحق لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهل البيت أولى بولاية هذا الأمر من هؤلاء المدعين ما ليس لهم والسائرين فيكم بالجور والعدوان، فإن أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتني به كتبكم ورسلكم انصرفت عنكم.

فقال الحر: إنا والله ما ندري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر!.

فأخرج خرجين مملوئين صحفاً فنثرها بين أيديهم.

فقال الحر: فإنا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أمرنا أنا إذا نحن لقيناك ألاّ نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد.

فقال الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك! ثم أمر أصحابه فركبوا لينصرفوا فمنعهم الحر من ذلك.

فقال له الحسين: ما تريد؟ قال الحر: أريد أن أنطلق بك إلى ابن زياد. قال الحسين: إذن والله لا أتبعك. قال الحر: إذن والله لا أدعك. فترادا الكلام، فقال له الحر: إني لم أؤمر بقتالك وإنما أمرت ألاّ أفارقك حتى أقدمك الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا تدخلك الكوفة ولا تردك إلى المدينة حتى أكتب إلى ابن زياد أو تكتب أنت إلى يزيد أو إلى ابن زياد فلعل الله أن يأتي بأمر يرزقني فيه العافية من أن أبتلى بشيء من أمرك.

فتياسر عن طريق العذيب والقادسية والحر يسايره.

ثم إن الحسين خطب فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إن رسول الله، ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› ، قال: «**من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعلٍ ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله**». ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا

طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلوا حرام الله وحرموا حلاله، وأنا أحق من غيَّر، وقد أتتني كتبكم ورسلكم ببيعتكم، وأنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله، ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› ، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهلكم، فلكم في أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم بن عقيل، والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم، ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠]، وسيغني الله عنكم، والسلام.[١]

يقول السيد العلامة مجد الدين المؤيدي رحمة الله عليه في التحف شرح الزلف:

لما وافته بيعة أهل الكوفة خرج من مكة سائراً إليها لثمان خلون من ذي الحجة، وروي أنه لما أراد الخروج إلى العراق خطب أصحابه؛ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ خُطَّ الْمَوْتُ عَلَى بَنِي آدَمَ كَخَطِّ الْقِلَادَةِ عَلَى جِيدِ الْفَتَاةِ، مَا أَوْلَعَنِي بِالشَّوْقِ إِلَى أَسْلَافِي اشْتِيَاقَ يَعْقُوبَ ‹عليه السلام› إِلَى يُوسُفَ وَأَخِيهِ، وَإِنَّ لِي مَصْرَعاً أَنَا لَاقِيهِ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَوْصَالِي تُقَطِّعُهَا وُحُوشُ الْفَلَوَاتِ غُبَّراً وَعُفْراً، قَدْ مَلأَتْ مِنِّي أَكْرَاشَهَا رِضَى اللَّهِ رِضَانَا أَهْلَ الْبَيْتِ، نَصْبِرُ عَلَى بَلَائِهِ لِيُوَفِّيَنَا أُجُورَ الصَّابِرِينَ، لَنْ تَشُذَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ حُرْمَتُهُ وَعِتْرَتُهُ، وَلَنْ تُفَارِقَهُ أَعْضَاؤُهُ، وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ لَهُ فِي حَظِيرَةِ الْقُدْسِ تُقَرُّ بِهِمْ عَيْنُهُ، وَتُنْجِزُ بِهِمْ عِدَتَهُ، مَنْ كَانَ فِينَا بَاذِلاً مُهْجَتَهُ فَلْيَرْحَلْ فَإِنِّي رَاحِلٌ غَداً إِنْ شَاءَ اللَّهُ**»[٢].

إلى قوله: فقام الحسين ‹عليه السلام› فيهم فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً، أفحين استصرختمونا ولهين متحيرين فأصرخناكم موجفين مستعدين، سللتم علينا سيفاً في رقابنا.. إلى قوله: فهلا لكم الويلات تجهمتمونا والسيف لم يشهر والجأش طامن، والرأي لم يستخف، ولكن أسرعتم إلينا كطيرة الذباب، وتداعيتم تداعي الفراش، فقبحاً لكم فإنما أنتم من طواغيت الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعُصبة الآثام، ومحرِّفي الكتاب، ومطفئي السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيدي عترة الأوصياء، وملحقي العهار بالنسب، ومؤذي المؤمنين وصراخ أئمة المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضين، وأنتم ابن حرب وأشياعه تعتمدون، وإيانا تحاربون.

إلى قوله: ألا لعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، وأنتم والله هم. ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين القتلة والذلة وهيهات منا أخذ الدنية، أبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون، وخدود طابت، وحجور طهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية تؤثر مصارع الكرام على مصارع اللئام، ألا قد أعذرت وأنذرت ألا إني زاحف بهذه الأسرة على قلة العتاد وخذلة الأصحاب.

---

(١) الكامل والمصابيح.

(٢) أمالي أبي طالب والتحف شرح الزلف.

إلى قوله: ألا ثم لا تلبثون بعدها إلا كريثما تركب الفرس حتى تدور بكم الرحى عهداً عهده إليَّ أبي فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم كيدوني جميعاً ولا تنظرون، إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم، اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مرة، فلا يدع فيهم أحداً إلا قتله قتلة بقتلة وضربة بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم، فإنهم غرونا وكذبونا وخذلونا، وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

الحسين يحط رحاله في كربلاء

وعلى أرض كربلاء حط الإمام الحسين ‹عليه السلام› رحاله وضرب أبنيته وأيقن بالمواجهة العسكرية وتعاهد الحسين أصحابه وأصلح عدته وسيفه.

سمعته أخته زينب تلك العشية وهو في خباء له يقول، وعنده جون مولى أبي ذر الغفاري يعالج سيفه:

يا دهر أفٍ لك من خليل ... كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالبٍ قتيل ... والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل ... وكل حيٍ سالك سبيل

فأعادها مرتين أو ثلاثاً، فلما سمعته لم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها حتى انتهت إليه ونادت: واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت فاطمة أمي وعلي أبي والحسن أخي يا خليفة الماضي وثمال الباقي! فذهب فنظر إليها وقال: يا أخيَّة لا يذهبنَّ حلمك الشيطان. قالت: بأبي أنت وأمي استقتلت! نفسي لنفسك الفداء!

فردد غصته وترقرقت عيناه ثم قال: لو ترك القطا ليلاً لنام. فبكت حتى خرت مغشياً عليها.

فقام إليها الحسين فصب الماء على وجهها وقال: اتق الله يا أخية وتعزي بعزاء الله واعلمي أن أهل الأرض يموتون وأهل السماء لا يبقون وأن كل شيء هالكٌ إلا وجه الله، أبي خير مني وأمي خير مني وأخي خير مني، ولي ولهم ولكل مسلم برسول الله أسوة.

فعزاها بهذا ونحوه وقال لها: يا أخية إني أقسم عليك لا تشقي عليّ جيباً، ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إن أنا قتلت.

ثم خرج إلى أصحابه فأمرهم أن يقربوا بعض بيوتهم من بعض وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض ويكونوا بين يدي البيوت فيستقبلون القوم من وجه واحد والبيوت على أيمانهم وعن شمائلهم ومن ورائهم.

فلما أمسوا قاموا الليل كله يصلون ويستغفرون ويتضرعون ويدعون.

ودعا الحسين‹عليه السلام› ربه كثيراً وقال: «**اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو أنزلته بكَ وشكوته إليك، رغبةً مني إليك عمن سواك ففرجته وكشفته، فأنت ولي لكل نعمة وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة**».

وفي صبيحة يوم عاشوراء عبأ الحسين ‹عليه السلام› أصحابه وصلى بهم صلاة الغداة، وكان معه اثنان وثلاثون فارساً، وأربعون راجلاً، فجعل زهير بن القين في ميمنة أصحابه، وحبيب بن مظاهر في ميسرتهم، وأعطى رايته العباس أخاه، وجعلوا البيوت في ظهورهم، وأمر بحطب وقصب فألقي في مكان منخفض من ورائهم كأنه ساقية عملوه في ساعة من الليل لئلا يؤتوا من ورائهم وأضرم ناراً تمنعهم ذلك.[1]

الإمام الحسين على أرض كربلاء يوضح أهداف خروجه

وهنا نعيش في أجواء حديث السيد عبد الملك حفظه الله حيث قال:

في كربلاء خطب الإمام في الجميع في أصحابه وفي الحُرُّ بن يزيد الرِّيَاحي وجماعته -من معه من الجند -وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال ‹عليه السلام›: «**أيها الناس؛ إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيِّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يُدخله مُدخَله**» مبيناً لهم من خلال هذا الكلام ضرورة وحتمية الموقف من الظالمين، من ظلمهم، من إجرامهم، من طغيانهم، ووجوب الإنكار والعمل على تغيير ظلمهم، تغيير فسادهم، إصلاح الواقع حتى لا يكون ساحة متروكة لهم، يعبثون ويُظلمون ويفعلون ما يشاءون ويُريدون ويُفسدون كيفما أرادوا، وأن الإنسان بين حالة من حالتين:

إما أن يكون في جبهة الإيمان، في صف الإيمان، في الموقف القرآني الإيماني الذي يسعى للتغيير، الذي يواجه المنكر، يواجه الباطل، يعمل على إزالة الفساد، على مواجهة الظلم.

أو أن يكون موقفه محسوباً لصالح الظالمين، لصالح ظلمهم، لصالح طغيانهم، لصالح إجرامهم؛ لأنهم هم من يستفيدون من سكوت الساكتين، وقعود القاعدين، وتخاذل المتخاذلين.

«**من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله ناكثاً لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يُغيِّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن**

(١) تاريخ اليعقوبي، الكامل في التاريخ.

يُدخله مُدخَله» ، وأين يكون مدخل الظالمين إلا جهنم وبئس المصير، مع الشياطين، مع الفراعنة هناك سيكون المدخل «**كان حقاً على الله أن يُدخله مُدخَله**».

ويواصل الإمام الحسين ‹عليه السلام› كلامه من هذا المنطلق ليوضح أنه ما من خيار أبداً للإنسان إلا أن يكون في الموقف الذي ينسجم مع القرآن، مع الإسلام، مع الرسول، مع ما يقوله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، أو أن يكون الخيار الآخر هو ماذا؟ أن يُحسب موقف الإنسان مع الظالمين فيكون هو معهم، مصيره مصيرهم، شريكاً لهم في جُرمهم، شريكاً لهم في ظُلمهم، شريكاً لهم في باطلهم، في فسادهم، في طغيانهم كله.

«**ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطَّلوا الحدود واستأثروا بالفيء**» نهبوا الأموال العامة الحقوق العامة للمسلمين وأكلوها لهم هم «**وأحلُّوا حرام الله وحرَّموا حلال الله وأنا أحق من غَيَّر**» وأنا أحق من غَيَّر.

يعرف الإمام الحسين ‹عليه السلام› أنه في موقع المسؤولية ويجب أن يكون في مقدمة من يسعى لتغيير هذا الواقع، هذا ما يتناسب مع مقامه الإيماني الرفيع «**وأنا أحق من غَيّر فأنا الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نفسي مع أنفسكم وأهلي مع أهليكم فلكم فيَّ أسوة**» وهو هنا في موقع المسؤولية بكل ما يحتاجه هذا الموقف، من واقع المسؤولية يتحرك وفي نفس الوقت حاضر لكل ما يلزم من تضحية، لكل ما يلزم من عطاء، لكل ما يلزم من بذل، لكل ما يلزم من جهد، حاضر على أرقى مستوى، هكذا يقول: «**نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيَّ أسوة**».[1]

الإمام الحسين ‹عليه السلام› وضع بين خيارين

الإمام الحسين في يوم العاشر وضع بين خيارين: أن يستسلم للطواغيت أو أن يقتل، فماذا كان خياره ‹عليه السلام›؟ وهنا أيضاً نترك الحديث للسيد عبد الملك حفظه الله حيث قال:

الإمام الحسين ‹عليه السلام› حينما وصل إلى كربلاء وحُوصر هناك ووقف بوجهه حتى أولئك الذين كاتبوه وراسلوه وعاهدوه، فتغيروا وتغيرت مواقفهم نتاج تلك التحولات التي هي (انقلاب) في المجتمع الإسلامي، وقفوا حتى هم بوجهه، وقفوا جنوداً مجنده مع من؟ مع ابن زياد ويزيد، مع الفجور، مع الظلم، مع الطغيان، مع الحقد والضغينة، مع الفساد، مع المنكر، ووقفوا بوجه الحسين وهم يعرفون من هو، ويعرفون دعوته وماذا يريد وماذا يسعى إليه وهو الخير لهذه الأمة، هو خير لهذه الأمة، هو يريد لهذه الأمة السعادة والعزة، في تلك الحال وقف الإمام الحسين ‹عليه السلام› بين خيارين: بين أن يصمد على مبدئه وعلى موقفه ويثبت ولو ضحَّى بما ضحَّى ولو كان حجم المظلومية والأسى والألم على مستوى

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٣٢هـ.

كبير، أو أن يتراجع أو أن يسكت أو يتغير كما كان الحال الأغلب بالنسبة للأمة حتى بوجهائها، بعلمائها، بعبَّادها، بكبارها آنذاك.

وقف الإمام الحسين أمام أصحابه وهو يُقدِّم لهم التطورات الأخيرة ويقول لهم: «**ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلة وبين الذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وأرحام طهرت ونفوس أبيَّة وأنوف حميَّة من أن نُؤثِر طاعة اللئام على مصارع الكرام**».[1]

وقبل المعركة

الإمام يستدعي عمر بن سعد

كان عمر بن سعد موعوداً بولاية الرّي[2] من قبل ابن زياد فأمره ابن زياد بالمسير لقتال الحسين ‹عليه السلام› فقال: (اعفني أيها الأمير) قال ابن زياد: (قد أعفيتك من ذلك ومن الرّي) فتحركت الأهواء والمطامع في نفس عمر بن سعد فقال: انظرني في أمري أيها الأمير وعاد ابن سعد وهو يقول:

ووالله ما أدري وإني لواقف ... أفكر في أمري على خطرين
أأترك ملك الرّي والرّي منيتي ... أم ارجع مأثوماً بقتل حسين
وفي قتله العار الذي ليس دونه ... حجاب وملك الري قرة عيني

وغلبت عليه الدنيا وسار لقتل الحسين‹عليه السلام› وفي أرض المعركة دعاه الحسين ‹عليه السلام› وقال له: «**يا عمر أنت تقتلني!؟ تزعم أن يوليك الدعي ابن الدعي بلاد الري وجرجان. والله لا تهنأ بذلك أبداً عهداً معهوداً فاصنع ما أنت صانع فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة. وكأني برأسك على قصبة قد نصبت بالكوفة يترامونه ويتخذونه غرضاً بينهم**» وعاد عمر بن سعد إلى جيشه مصمماً على قتل الحسين‹عليه السلام›.[3]

---

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٢٩هـ.
(٢) تبعد عن طهران عاصمة إيران حوالي ١٦كم.
(٣) كتاب التحف.

موقف الحُرّ بن يزيد الرَّيَاحِي

وقف الحُرُّ وقبل أن تبدأ المعركة وقد اصطفَّ جيش عمر بن سعد للقتال أمام الإمام الحسين ‹عليه السلام› والفئة القلية المؤمنة الوفية الصابرة، وقف الحُرّ وهو يفكِّر ويتأمَّل، يتقدَّم ويتأخَّر، بدا في حالة المتردد، في موقفه أين يقف، هذا موقف صحيح أن تفكر، أن تفكر أين أنت؟ في أي موقف أنت؟ مع من أنت؟ في أي طريق؟ وعلى ماذا تقاتل؟، وقف يفكر ويتأمل ويتردد، فأخذته الرعدة فقال له رجل من قومه يسمى (المهاجر بن أوس) والله إن أمرك لمريب والله ما رأيت منك في موقف قط مثل ما أراه الآن، ولو قيل من أشجع أهل الكوفة؟ لما عَدَوتُك.

فقال له الحرّ: إني والله أخير نفسي بن الجنة والنار، ولا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت وحرقت، ثم ضرب فرسه ولحق بالحسين‹عليه السلام› فقال له: جعلني الله فداك يا ابن رسول الله! أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع وسايرتك في الطريق وجعجعت بك في هذا المكان، ووالله ما ظننت أن القوم يردون عليك ما عرضت عليهم أبداً، ولا يبلغون منك هذه المنزلة أبداً، فقلت في نفسي: لا أبالي أن أطيع القوم في بعض أمرهم ولا يرون أني خرجت من طاعتهم، وأما هم فيقبلون بعض ما تدعوهم إليه، ووالله لو ظننت أنهم لا يقبلونها منك ما ركبتها منك، وإني قد جئتك تائباً مما كان مني إلى ربي مواسياً لك بنفسي حتى أموت بين يديك، أفترى ذلك توبة؟ قال: نعم، يتوب الله عليك ويغفر لك.

وتقدم الحر أمام أصحابه ثم قال: أيها القوم ألا تقبلون من الحسين خصلةً من هذه الخصال التي عرض عليكم فيعافيكم الله من حربه وقتاله؟

فقال عمر: لقد حرصت لو وجدت إلى ذلك سبيلاً.

فقال: يا أهل الكوفة لأمكم الهبل والعبر! أدعوتموه حتى إذا أتاكم أسلمتموه وزعمتم أنكم قاتلوا أنفسكم دونه ثم عدوتم عليه لتقتلوه؟ أمسكتم بنفسه وأحطتم به ومنعتموه من التوجه في بلاد الله العريضة حتى يأمن ويأمن أهل بيته، فأصبح كالأسير لا يملك لنفسه نفعاً ولا يدفع عنها ضراً، ومنعتموه ومن معه عن ماء الفرات الجاري يشربه اليهودي والنصراني والمجوسي ويتمرغ فيه خنازير السواد وكلابه وها هو وأهله قد صرعهم العطش! بئسما خلفتم محمداً في ذريته! لا سقاكم الله يوم الظمأ إن لم تتوبوا وتنزعوا عما أنتم عليه!

فرموه بالنبل، فرجع حتى وقف أمام الحسين.

استأذن الحر من الإمام الحسين ‹عليه السلام› في أن يكون أول شهيد بن يديه ليكفر عن خطأه قال: لقد كنت أول من تصدى لك فاسمح لي أن أكون أول شهيد بين يديك.

تقدم الحر إلى جيش ابن زياد وقاتل قتال الأبطال حتى استشهد بعد أن أبلى بلاء حسناً، ووقف الإمام الحسين على جسده بعد استشهاده وقال: «**أنت حر كما سمتك أمك**».[1]

في بداية المعركة أطلق عمر بن سعد أول سهم وقال: اشهدوا لي عند الأمير أني أول من رمى. وتبعه جيشه فلم يبق أحد من أصحاب الحسين ‹عليه السلام› إلا وأصابه سهم.

وبعدها تقدم أهل بيت الحسين ‹عليه السلام› وأصحابه إلى المعركة وانكشفت تلك الجحافل ولم تثبت لجيش الحسين ‹عليه السلام› ، ولم تستطع خيل عمر بن سعد التقدم فتبارزوا فلم يتقدم أو يتعرض أحد من جيش عمر بن سعد للقتال إلا قتل أو هرب.

وصاح (عمر بن الحجاج) برفاقه أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان المصر وقوما مستميتين، لا يبرز إليهم منكم أحدٌ فإنهم قليل، لو لم ترموهم إلا بالحجارة لقتلتموهم. وعجزت خيل ابن سعد رغم كثرتها عن مقاومة خيل الحسين‹عليه السلام› فبعث إليه (عمر بن قيس) قائد الخيل يقول: الا ترى ما تلقى خيلى هذا اليوم من هذه القوة اليسيرة؟! ابعث إليهم الرجال والرماة، فبعث إليهم بخمسمائة من الرماة وعلى رأسهم (الحصين بن نمير) فرشقوا أصحاب الحسين ‹عليه السلام› بالنبل حتى عقروا الخيل وجرحوا الفرسان والرجال.

على ساحة كربلاء تجلت أروع البطولات

ثم ركب الحسين دابته ودعا بمصحف فوضعه وتقدم إلى الناس ونادى بصوت عال يسمعه كل الناس فقال: أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظكم بما يجب لكم عليّ وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدقتم قولي وأنصفتموني كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم علي سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر﴿**فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ**﴾ [يونس:٧١]﴿**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ**﴾.[الأعراف: ١٩٦].

بذل الحسين ‹عليه السلام› كل ما في وسعه ليرد جيش ابن زياد عن غيه وضلاله وخرج إليهم ليخطبهم فرجَّ رؤساء القوم بالضجيج حتى لا يسمع الجيش صوته، فصابرهم الحسين ‹عليه السلام› حتى ملوا من الضجيج فخطب فيهم بعد الحمد والصلاة على النبي ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› وقال: أما بعد فانسبوني فانظروا من أنا ثم راجعوا أنفسكم فعاتبوها وانظروا هل يصلح ويحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه، وأولى المؤمنين بالله والمصدق لرسوله؟ أوليس حمزة سيد الشهداء عم أبي؟ أوليس جعفر الشهيد الطيار في الجنة عمي؟ أولم يبلغكم قول مستفيض فيكم: إن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قال لي ولأخي: «**أنتما سيدا شباب أهل الجنة**» ؟ فإن صدقتموني بما أقول،

(١) الكامل في التاريخ، تاريخ الطبري.

وهو الحق، والله ما تعمدت كذباً مذ علمت أن الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبد الله أو أبا سعيد أو سهل بن سعد أو زيد بن أرقم أو أنساً يخبروكم أنهم سمعوه من رسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› ، أما في هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمي؟.

فقال له شمر: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول!.

فقال له حبيب بن مظاهر: والله إني أراك تعبد الله على سبعين حرفاً، وإن الله قد طبع على قلبك فلا تدري ما تقول.

ثم قال الحسين: فإن كنتم في شك مما أقول أو تشكون في أني ابن بنت نبيكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم، أخبروني أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو بمال لكم استهلكته، أو بقصاص من جراحة؟ فلم يكلموه.

فنادى: يا شبث بن ربعي! ويا حجار بن أبجر! ويا قيس بن الأشعث! ويا زيد بن الحارث! ألم تكتبوا إلي في القدوم عليكم؟ ألم تكتبوا لي أنه قد أينعت الثمار واخضرت الجنان، وإنما تقدم على جند لك مجند.[1]

قالوا: لم نفعل.

فقال: بلى فعلتم. ثم قال: أيها الناس إذ كرهتموني فدعوني أنصرف إلى مأمني من الأرض.

قال: فقال له قيس بن الأشعث: أولا تنزل على حكم ابن عمك، يعني ابن زياد، فإنك لن ترى إلا ما تحب.

فقال له الحسين: لا والله ولا أعطيهم بيدي عطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبد.

عباد الله إني عذت بربي وربكم أن ترجمون، أعوذ بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

ثم أناخ راحلته ونزل عنها.

من مواقف الأوفياء

وكذلك قام بعده بطل من أبطال كربلاء (زهير بن القين) خرج زهير بن القين على فرس له في السلاح فقال: يا أهل الكوفة، نذار لكم من عذاب الله نذار، إن حقاً على المسلم نصيحة المسلم، ونحن حتى الآن إخوة على دين واحد ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنا نحن أمة وأنتم أمة، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمد، ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› ، لينظر ما نحن وأنتم عاملون.

إنا ندعوكم إلى نصره وخذلان الطاغية ابن الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنكم لا تدركون

(١) اليعقوبي - التحف - والكامل في التاريخ.

معهما إلا سوءاً، يسملان أعينكم، ويقطعان أيديكم وأرجلكم، ويمثلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقراءكم، أمثال حجر بن عدي وأصحابه، وهانئ بن عروة وأشباهه!

قال: فسبوه وأثنوا على ابن زياد

وقالوا: والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله بن زياد سلماً.

فقال لهم: يا عباد الله إن ولد فاطمة أحق بالود والنصر من ابن سمية، فإن كنتم لم تنصروهم فأعيذكم بالله أن تقتلوهم، فلعمري إن يزيد ليرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين.

فرماه شمرٌ بسهم وقال: أسكت أسكت الله نأمتك، أبرمتنا بكثرة كلامك!

فقال زهير: يا ابن البوال على عقبيه! ما إياك أخاطب، إنما أنت بهيمة! والله ما أظنك تحفظ من كتاب الله آيتين فأبشر بالخزي يوم القيامة والعذاب الأليم.

فقال شمر: إن الله قاتلك وصاحبك عن ساعة.

فقال: أفبالموت تخوفني؟ والله للموت معه أحب إلي من الخلد معكم!

ثم رفع صوته وقال: يا عباد الله لا يغرنكم من دينكم هذا الجلف الجافي، فوالله لا تنال شفاعة محمد قوماً أهرقوا دماء ذريته وأهل بيته وقتلوا من نصرهم وذب عن حريمهم. فأمره الحسين فرجع.

أمام هذا الموقف الغريب من قبل مرتزقة يزيد وعشقهم له إلى درجة أنهم مستعدون أن يضحوا بأنفسهم من أجل يزيد وأن يقتلوا من أجله ابن رسول الله (صلى الله عيه وعلى آله وسلم) وهنا نستذكر كلاماً للسيد حسين ‹رضوان الله عليه› عندما قال في الدرس الخامس من دروس رمضان وهو يتحدث عن بني إسرائيل عندما عبدوا العجل وعشقوه ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ [البقرة:٩٣] فقال متسائلاً: ما هو العجل هذا؟ لم يشربوا في قلوبهم حب موسى؛ وكم الفرق بين موسى وبين العجل بالنسبة لهم؟ ألم يكن الشيء الطبيعي أن يشربوا في قلوبهم حب موسى؟ أن يشربوا في قلوبهم حب الله؟ حب هداه؟ الإنسان لا بد أن يعشق شيئاً، إذا أنت لا تريد أن تعشق شيئاً صحيحاً ستعشق باطلاً.

هنا أوردت كلام السيد حسين رضوان الله عليه؛ لأن هذه الصور ماثلة أمامنا، أليس هناك من يخرج من بلده وهو يرى أشلاء نساء وأطفال أبناء شعبه يقطعون ظلماً وعدوانًا، ويرى الغزاة شذاذ الآفاق يغزون بلده وبدلاً من أن يقف مع الحق ومع الأحرار ومع الشرفاء ومع المظلومين والمعتدى عليهم لمواجهة هؤلاء الغزاة المحتلين يخرج ليدير ظهره للغزاة ويقاتل أبناء بلده ويقتل في سبيل الغزاة مع المجرمين الظلمة المعتدين؟!

صورة أخرى: أليس البعض يعشق العجول التي كانت السبب في إضعاف بلده وجعله بلداً

فقيراً متسولاً تابعاً يعيش تحت الوصاية الأمريكية، وتحت هيمنة الأعراب من السعوديين والإماراتيين، وتحت رحمة الوهابيين التكفيريين، وهو بلد يمتلك ثروات هائلة وشعباً عظيماً ولديه ثقافة عظيمة لا يحتاج إلى ثقافة من قرن الشيطان وهو يمن الإيمان والحكمة؛ فيقف مع هؤلاء العجول، ويسبح بحمدهم، ويمنحهم الولاء والطاعة، وقد يضحي في سبيلهم، وهم كانوا وراء كل هذه المشاكل بكلها؟!

أليس هؤلاء أسوأ من بني إسرائيل الذين صنعوا لهم عجلاً وعشقوه وهو عبارة عن صنم لا يدفع بهم إلى التضحية في سبيله، وهم قالوا: ﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾[طه٩١].

هكذا يجب أن نفهم هذه السنة: إذا لم تعشق الحق وتقف مع الحق وتضحي في سبيل الحق فأنت ستعشق الباطل وتقف مع الباطل وتضحي في سبيل الباطل.

ومن بقي فيهم زكاء الإسلام ونور القرآن وطهارة الإيمان، نهضوا مع الإمام الحسين ‹عليه السلام› وصدقوا ووفوا، وضربوا بصمودهم واستبسالهم أروع الأمثلة، وقدموا لهذه الأمة دروساً مكتوبة بدمائهم دروساً مهمة في الوفاء، في الصدق، كيف يجب أن تكون وفياً حينما يغدر الآخرون، حينما يتراجعون ويتخاذلون، حينما يتغيرون، كيف يجب أن تكون وفياً، كذلك هناك الكثير من المواقف كان هناك مع الإمام الحسين مواقف للرجال، مواقف للنساء، مواقف للشيوخ، مواقف للأطفال، وفيها دروس مهمة.

في كربلاء أقبل الإمام الحسين ‹عليه السلام› على أصحابه فقال: «الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون.

ثم قال لأصحابه: أما بعد فقد نزل بنا من الأمر ما ترون وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء الله محقا فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا شقاء وبرما».

فقام إليه زهير بن القين العجلي، فقال: قد سمعت مقالتك هديت، ولو كانت الدنيا باقية وكنا مخلدين فيها، وكان الخروج منها مواساتك ونصرتك لاخترنا الخروج منها معك على الإقامة فيها، فجزاه الحسين بن علي ‹عليهما السلام› خيراً، ثم قال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى ... إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً وجاهد مجرما
فإن عشت لم أندم وإن مت لم ألم ... كفى بك داءاً أن تعيش وترغما

ومرة أخرى جمع الإمام الحسين أصحابه مساء اليوم العاشر من المحرم فخطبهم قائلا: أما بعد: فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبر ولا أوصل من أهل

بيتي فجزاكم الله عني جميعا ألا وإني أظن أن يومنا من هؤلاء الأعداء غداً.

برير بن خضير

فقال برير بن خضير: يا ابن رسول الله لقد من الله بك علينا أن نقاتل بين يديك تقطع فيك أعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة.

نافع بن هلال

وقال نافع بن هلال: سر بنا راشداً معافاً مشرّقاً إن شئت أو مغرّباً فو الله ما أشفقنا من قدر الله ولا كرهنا لقاء ربنا وإنا على نياتنا وبصائرنا نوالي من والاك ونعادي من عاداك.

مسلم بن عوسجة

فقال مسلم بن عوسجة: أما والله لا أفارقك حتى أطعن في صدورهم برمحي وأضرب بسيفي ما ثبت قائمه في يدي، ولو لم يكن معي سلاح اقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك.

سعد بن عبد اللّه الحنفي

وقال سعد بن عبد الله الحنفي: والله لو علمت أني أقتل ثم أحيا ثم أحرق حيا ثم أذرَّى يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حِمامي دونك فكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة.

وقال زهير بن القين: والله لوددت أني قتلت ثم نشرت ثم قتلت حتى أقتل كذا ألف قتلة وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك.

مواقف التضحية في كربلاء

سطر أصحاب الحسين ‹عليه السلام› نماذج عدة للبطولة والفداء إذ قدم أصحاب الحسين ‹عليه السلام› رجالا ونساء شباباً وأطفالا أنفسهم قرابين في سبيل اللّه دون خوف أو رهبة من مواجهة الموت وكثرة العدو. وهذه نماذج لبعض التضحيات:

حنظلة بن أسعد الشبامي

جاء حنظلة بن أسعد الشبامي فوقف بين يدي الحسين وجعل ينادي﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ، مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ، وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ، يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[غافر:٣٠-٣٣] يا قوم لا تقتلوا الحسين فيسحتكم الله

بعذاب ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى﴾ [طه:٦١]، فقال له الحسين: رحمك الله! إنهم قد استوجبوا العذاب حين ردوا ما دعوتهم إليه من الحق، ونهضوا ليستبيحوك وأصحابك فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين! فسلم على الحسين وصلى عليه وعلى أهل بيته وتقدم وقاتل حتى قتل.

عابس بن أبي شبيب الشاكري

وجاء عابس بن أبي شبيب الشاكري وشوذب مولى شاكر إلى الحسين فسلما عليه وتقدما فقاتلا فقتل شوذب، وأما عابس فطلب البراز فتحاماه الناس لشجاعته، فقال لهم عمر: ارموه بالحجارة، فرموه من كل جانب، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره وحمل على الناس فهزمهم بين يديه، ثم رجعوا عليه فقتلوه وادعى قتله جماعةٌ.

سيف بن الحارث وأخوه مالك

وبنفس الموقف البطولي وقف سيف بن الحارث بن سريع، وأخوه لأمه مالك بن عبد الله بن سريع وهما يبكيان. فقال الحسين ‹عليه السلام›: «**ما يبكيكما إني لأرجو أن تكونا عن ساعة قريري عين**» فقالا: والله ما على أنفسنا نبكي ولكن نبكي عليك، ونراك قد أحيط بك ولا نقدر أن نمنعك. فقال: «**جزاكما اللّه جزاء المتقين**» وقاتلا حتى قتلا.[1]

يزيد بن زياد الكندي

وأثنا المعركة جثا أبو الشعثاء - يزيد بن زياد الكندي - بين يدي الحسين وكان ممن أنضم إلى الحسين ‹عليه السلام› من جيش ابن زياد وهو من أشهر الرماة. فأرسل مائة سهم في نحور القوم لم يكد يخطى منها خمسة أسهم وقاتل حتى قتل.

سويد بن أبي المطاع

وكذلك سويد بن أبي المطاع سمع القوم يتنادون بمصرع الحسين وهو في النزع الأخير. فالتمس سيفه فوجدهم قد سلبوه ولم تقع يده إلا على خنجر صغير فقام على قدميه يصارع الموت، فتولاهم الذعر، وانطلق فيهم قتلا حتى أفاقوا وتعاونوا على قتله.

علي بن الحسين ‹عليه السلام›

هو علي بن الحسين الأكبر على رأي أكثر المؤرخين خرج مع أبيه ولما قرب الحسين من كربلاء خفق خفقة، ثم انتبه وهو يقول: «**إنا لله وإنا إليه راجعون، والحمد لله رب**

(١) أبو الفرج الأصفهاني ٧٧.

العالمين» فقال على ‹عليه السلام›: يا أبت جعلت فداك مم حمدت واسترجعت؟ قال **«يا بني إني خفقت خفقة؛ فرأيت فارساً على فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسير إليهم فعلمت أن أنفسنا نعيت إلينا»** فقال: يا أبت لا أراك الله سوءاً ألسنا على الحق؟ قال: **«بلى والذي يرجع إليه العباد قال: إذن لا نبالي أوقعنا على الموت أو وقع الموت علينا»**.

وفي أرض كربلاء دنا علي بن الحسين من والده وعمره لم يتجاوز الثامنة عشرة واستأذنه في القتال فأرخى الحسين سلام الله وصلاته عليه عينيه وقال: (اللهم كن أنت الشهيد عليهم وقد برز إليهم غلام أشبه الخلق برسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› وتقدم علي وهو يقول:

أنا علي بن الحسين بن علي ... نحن ورب البيت أولى بالنبي
من شبث ذاك ومن شمر الدني ... أضربكم بالسيف حتى يلتوي
ضرب غلام هاشمي علوي ... ولا أزال اليوم أحمي عن ابي

تالله لا يحكم فينا ابن الدعي

وفي كل مرة يعود إلى أبيه فيقول: يا أبت العطش. فيقول الحسين‹عليه السلام›: **«اصبر حبيبي فإنك لا تمسي حتى يسقيك رسول الله ‹عليه السلام› بكأسه»**.

وحمل على القوم بشجاعة ضارية وفي كل مرة يقتل أبطالهم ويفرق صفوفهم وتكرر ذلك منه عدة مرات، وفي إحدى كراته تلك غدر به مرة بن منقذ العبدي وطعنه برمحه، وتعاورته السيوف من كل جانب فنادى: يا أبتاه عليك السلام هذا جدي يقرؤك السلام ويقول: عجل القدوم إلينا. وفارق الحياة شهيداً فقال الحسين ‹عليه السلام›: **«قتل الله قوماً قتلوك يا بني ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة رسول الله، على الدنيا بعدك العفاء»**، وكان علي أول قتيل من بني هاشم.

العباس بن علي

رمز من رموز البطولة والفداء والتضحية على أرض كربلاء وقف العباس كالطود الشامخ وقاتل قتال الأبطال، ونفذ من بين الجموع إلى الفرات واستجلب الماء إلى الخيام.

وقبل نهاية المعركة كان قمر بني هاشم وحيداً مع أبي عبد الله فاستأذن الحسين ‹عليه السلام› وودعه وأقبل على جيش عمر بن سعد يحصدهم ويمرق بين صفوفهم وأجهده العطش ووصل إلى الفرات ورفض أن يشرب قبل أن يحمل للحسين‹عليه السلام› الماء فشد عليهم ولكن القوم حالوا بينه وبين وصول الماء إلى الحسين ‹عليه السلام› واعتورته السيوف والرماح من كل جهة حتى مزقته. وكان آخر قتيل ودعه الحسين‹عليه السلام›.

يقول القاسم بن نباته: رأيت رجلا من بني أبان بن دارم أسود الوجه وكنت أعرفه جميلا شديد البياض قفلت له: ما كدت أعرفك!.

قال: إني قتلت شاباً أمرد مع الحسين بين عينيه أثر السجود، فما نمت ليلة منذ قتلته إلا أتاني فيأخذ بتلابيبي حتى يأتي جهنم فيدفعني فيها فأصبح فما يبقى أحد في الحي إلا سمع صياحي. قال: والمقتول العباس بن علي ‹عليه السلام›.[1]

الطفل في كربلاء

كان أطفال كربلاء قد تربوا على الصدق والطهارة فكتبوا بدمائهم صفحة جلية في طريق الحق والحرية والكرامة.

- أحاط القوم بالحسين ‹عليه السلام› وأقبل إليه غلام من أهله فأخذته زينب ‹عليه السلام› فقال لها الحسين‹عليه السلام› احبسيه. فأبى الغلام وأقبل يعدوا إلى أبي عبد الله ووقف إلى جنبه، وأهوى أبجر بن كعب بالسيف على الحسين ‹عليه السلام›.

فصاح الغلام فيه: أتقتل عمي يا ابن الخبيثة واتقى ضربة السيف بيده فأطنها إلى الجلد وبقيت معلقة فنادى الغلام: يا أماه فأخذه الحسين‹عليه السلام› وضمه إليه وقال: يا ابن أخي احتسب فيما أصابك الثواب، فإن اللّه ملحقك بآبائك الصالحين برسول اللّه ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› وحمزة وعلي وجعفر والحسن.[2]

وبرز القاسم بن الحسن ‹عليه السلام› وحمل على القوم فضربه عمر بن سعد بن نفيل الأزدي على رأسه فسقط القاسم على وجهه وصاح ياعماه فانقض الحسين ‹عليه السلام› كالصقر وشد عليهم، وضرب عمراً بالسيف فاتقاه بيده فقطعها. وصاح عمر فحملت خيل الكوفة لينقذوه فداسته الخيول حتى مات وانجلت الغبرة والحسين ‹عليه السلام› واقف على رأس القاسم وهو يضرب برجليه الأرض والحسين ‹عليه السلام› يقول: «**بعداً لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك رسول اللّه** ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم›) **ثم قال: «عزَّ واللّه على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك ثم لا ينفعك صوته. واللّه هذا يوم كثر واتره وقل ناصره**» ثم حمله على عاتقه حتى وضعه بين قتلى أهل بيته ‹عليه السلام›.[3]

قال هاني بن ثبيت الحضرمي يذكر صورة أخرى من ذلك الظلم: كنت ممن شهد الحسين ‹عليه السلام› فإني لواقف على خيول إذ خرج غلام من آل الحسين مذعوراً يلتفت يميناً وشمالا فأقبل رجل منا يركض حتى دنا منه فمال عن فرسه فضربه فقتله.[4]

---

(١) التاريخ الإسلامي.
(٢) ابن الأثير ٣/٢٩٢.
(٣) ابن الأثير ٣/٢٣٩.
(٤) التاريخ الإسلامي.

وكان للنساء كذلك مواقف مشرفة مع الحسين ‹عليه السلام›

الأم في كربلاء

ذهب غلام إلى الحسين ‹عليه السلام› استشهد والده في أول المعركة، وقف أمام الحسين وقال: (يا أبا عبد الله؛ ائذن لي بالقتال) قال الإمام ‹عليه السلام›: «**هذا غلام قُتل أبوه في أول المعركة ولعل أمة تكره خروجه**» ومن رحمته بابنها كان حريصاً على أن يعرف موقفها، الغلام قال: (أمي هي التي أمرتني، أمي هي التي أمرتني) هذا موقف رائع للأمهات المؤمنات يجب أن يكون موقفهن هو أن يدفعن بأبنائهن في ساحات العزة والجهاد، في ميادين البطولة والشرف، في ميادين الجهاد في سبيل الله ورضاه، وإقامة دينه، هذا موقف، موقف مفيد.

الزوجة في كربلاء

روى الطبري: أنه لما قال عبدالله بن عمير لزوجته أنه يريد المسير إلى الحسين قالت له: أصبت أصاب الله بك أرشد أموره افعل وأخرجني معك فخرج بها حتى أتى حسينا فأقام معه ثم برز ليقاتل فأخذت امرأته عموداً ثم أقبلت نحو زوجها تقول: فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين ذرية محمد فأقبل إليها يردها نحو النساء فأخذت تجاذب ثوبه ثم قالت: إني لن أدعك حتى أموت معك فناداها الحسين فقال: «**جزيتم من أهل بيت خيراً ارجعي رحمك الله إلى النساء فاجلسي معهن**» فانصرفت ثم قتل زوجها فخرجت تمشي إليه حتى جلست عند رأسه تمسح التراب عنه وتقول: هنيئا لك الجنة. فقال شمر بن ذي الجوشن لغلام يسمى رستم اضرب رأسها بالعمود فضرب رأسها بالعمود فقتلها وهي أول امرأة قتلت من أصحاب الحسين.

وهنا يقول السيد عبد الملك حفظه الله:

مثلما كان موقف أم وهب درساً مهماً للنساء في عصرنا هذا وفي غير هذا العصر، وهي تقف وتنادي زوجها عبد الله بن عُمير وهو يقاتل في سبيل الله مع الإمام الحسين وتقول له: (فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين من ذرية محمد) هذا الموقف لتلك المرأة يجب أن يكون موقف النساء المؤمنات، كذلك موقف زوجته.

البعض من النساء قد يساهمن في إعاقة أزواجهن عن الانطلاق في سبيل الله ومناصرة الحق؛ لكن المرأة المؤمنة هي تشجّع، تشجِّع زوجها.

ووقف أصحاب الحسين ‹عليه السلام› يتلقفون الشهادة تلقفاً، ويقبلون على الموت ويتسابقون إليه، وذهب أصحاب الحسين ‹عليه السلام› شهداء وكان كلما قتل شهيدٌ حمله

الحسين‹عليه السلام› إلى جانب إخوانه وبقي الحسين‹عليه السلام› في أرض المعركة وحيداً فريداً يقاسي العطش والجوع، ونزف الجراح، ومتابعة القتال والطواغيت يحيطون به من كل جانب فقاتل ‹عليه السلام› قتال الأبطال يحمل على القوم حتى يهزمهم ثم يعود إلى مكانه واشتد عليه العطش وجعل يطلب الماء فقال له شمر: والله لا ترده أو ترد النار.

ثم ناداه عبيد اللّه بن حصن: ألا ترى إلى الفرات يا حسين كأنه بطون الحيَّات والله لا تذوقه أو تموت عطشاً. فقال الحسين‹عليه السلام›: «**اللهم أمته عطشاً**» فكان الرجل يطلب الماء فيشرب حتى يخرج من فيه وهو يقول: اسقوني قتلني العطش حتى مات.

واجههم الإمام الحسين لوحده ولكنه اشتد عطش الحسين ‹عليه السلام› فدنا من الفرات ليشرب فرماه حصين بن نمير بسهم فوقع في فمه فجعل يتلقى الدم بيده ورمى به إلى السماء، ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**اللهم إني أشكو إليك ما يصنع بابن بنت نبيك. اللهم احصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تبق منهم أحداً**».[1]

ثم إن شمر بن ذي الجوشن أقبل في نفر نحو عشرة من رجالهم نحو منزل الحسين فحالوا بينه وبين رحله، فقال لهم الحسين: «**ويلكم! إن لم يكن لكم دين ولا تخافون يوم المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم، امنعوا رحلي وأهلي من طغاتكم وجهالكم**».

حمل القوم على الحسين ‹عليه السلام› وتناوشته السهام والرماح والسيوف وتقدم شمر بن ذي الجوشن فطعنه برمحه وضربه آخر على كتفه، وسقط الحسين‹عليه السلام› على الأرض، فنزل خولي بن يزيد الأصبحي ليحتز رأس الحسين فارتعد فنحَّاه شمر وهو يقول: «**فت اللّه في عضدك**» ونزل واحتز الرأس الشريف.

وما كاد القوم ينتهون من قتل الحسين حتى هرعوا إلى حرم رسول اللّه ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› ينازعوهن الحلي وما عليهن من الملابس، دون أن تمنعهم مروءتهم، وانقلبوا إلى جثة الحسين‹عليه السلام› يأخذون ما عليها من كساء مزقته السيوف والرماح، وأوشك القوم أن يتركوا الجثة عارية على الأرض لولا سراويل بالية كان قد لبسها الإمام الحسين‹عليه السلام› بالية ممزقه، وتعمد ذلك ليتركوها على جسده ولا يسلبوها، لأنه يعرف دناءتهم وخستهم.

ثم أوطئوا الخيل جثته الشريفة وصدره حتى رضوا صدره وظهره، ثم أضرموا النار في الخيام، وساقوا بنات رسول اللّه سبايا إلى ابن زياد.

---

(١) التاريخ الإسلامي.

زينب تقف أمام المشهد في ساحة كربلاء

ومن هنا بدأ دور بطلة كربلاء بنت أمير المؤمنين وسيد الوصيين زينب ‹عليها السلام› التي ضربت أروع الأمثلة لموقف المرأة الواعية، فقد كانت بطلة أثناء الحرب وبعد الحرب.

ولم يصب أحد بمثل ما أصيبت. ومع ذلك وقفت صامدة تنتظر الموقف بعد المعركة، وشاهدت الرؤوس مرفوعة على الرماح، والجثث ملقاة على الأرض، والنساء حواسر فصاحت زينب‹عليها السلام›: «**يا محمداه! هذا الحسين على العراء، وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة تسفي عليها الصبا**».

عاد القتلة المجرمون إلى عبيد الله بن زياد ورأس الحسين ‹عليه السلام› وأهل بيته وأصحابه على رماحهم اثنان وسبعون رأساً مع شمر بن ذى الجوشن وقيس بن الأشعث وعمرو بن الحجاج وعزرة بن قيس فأقبلوا حتى قدموا بها على عبيد الله بن زياد.

أما الجثث الطاهرة فقد خرج لها جماعة مع الليل من بني أسد على ضوء القمر وصلوا عليها ودفنوها هناك.

روى أبو العباس الحسني في المصابيح عن أبي جعفر الباقر ‹عليه السلام› أن الحسين لما قتل أخذ رأسه رجل من أهل الشام، فأتى به ابن زياد (لعنه الله) فوضعه بين يديه وجعل يقول:

أوقر ركابي فضة وذهباً ... فقد قتلت الملك المحجبا
قتلت خير الناس أماً وأباً ... وخيرهم إن ينسبون نسباً

فقيل له: قد علمت أنه خير الناس أما وأبا فلم قتلته؟ فأمر بقتله غيظاً عليه لقوله ومدحه الحسين ‹عليه السلام›.

موكب الإباء في الكوفة

قال أبو مخنف: حدثنى سليمان بن أبى راشد عن حميد بن مسلم قال دعاني عمر بن سعد فسرحني إلى أهله لأبشرهم بفتح الله عليه وبعافيته فأقبلت حتى أتيت أهله فأعلمتهم ذلك.

ثم أقبلت حتى أدخل ووجدت الوفد قد قدموا على ابن زياد فأدخلهم وأذن للناس فدخلت فيمن دخل فإذا رأس الحسين موضوع بين يديه وإذا هو ينكت بقضيب بين ثنيتيه ساعة.

فلما رآه زيد بن أرقم يفعل ذلك قال له: اعل بهذا القضيب عن هاتين الثنيتين فوالذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› على هاتين الشفتين يقبلهما، ثم انفضخ الشيخ يبكي.

فقال له ابن زياد: أبكى الله عينيك والله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك.

قال فنهض فخرج فلما خرج سمعت الناس يقولون: والله لقد قال زيد بن أرقم قولاً لو سمعه ابن زياد لقتله.

قال فقلت ما قال؟ قالوا مر بنا وهو يقول: ملِّك عبد عبداً فاتخذهم تلدا، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة، فهو يقتل خياركم ويستعبد شراركم فرضيتم بالذل فبعداً لمن رضي بالذل.

قال فلما دخل برأس الحسين وصبيانه وأخواته ونسائه على عبيد الله بن زياد لبست زينب ابنة فاطمة أرذل ثيابها وتنكرت وحف بها إماؤها فلما دخلت جلست.

فقال عبيد الله ابن زياد: من هذه الجالسة؟ فلم تكلمه.

فقال ذلك ثلاثاً، كل ذلك لا تكلمه.

فقال بعض إمائها: هذه زينب ابنة فاطمة.

قال فقال لها عبيد الله: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› وطهرنا تطهيراً لا كما تقول أنت، إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر.

قال: فكيف رأيتِ صنْعَ الله بأهل بيتك؟

قالت: كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاجون إليه وتخاصمون عنده.

قال: فغضب ابن زياد واستشاط.

قال: فقال له عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير إنما هي امرأة وهل تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها إنها لا تؤاخذ بقول ولا تلام على خطل.

فقال لها ابن زياد: قد أشفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك.

قال فبكت ثم قالت: لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن يشفك هذا فقد اشتفيت.

ولما نظر ابن زياد إلى علي بن الحسين قال: ما اسمك؟؛ قال: علي بن الحسين. قال: أولم يقتل الله علي بن الحسين؟ فسكت[1].

فقال: ما لك لا تتكلم؟

فقال: كان لي أخ يقال له أيضاً (عليٌّ) فقتله الناس.

فقال: إن الله قتله. فسكت عليٌّ.

فقال: ما لك لا تتكلم؟

---

(١) علي بن الحسين الأصغر نجا من القتل بأعجوبة إذ كان مريضاً أثناء المعركة ولم يقتله القوم بعد المعركة إذ كان مريضاً وحافظت عليه زينب.

فقال: ﴿اللّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[الزمر: ٤٢]،﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللّهِ﴾[آل عمران: ١٤٥] قال: أنت والله منهم.

فأراد قتله فتعلقت به زينب وقالت: يا ابن زياد حسبك منا، أما رويت من دمائنا، وهل أبقيت منا أحداً! واعتنقته وقالت: أسألك بالله إن قتلته لما قتلتني معه!.

موقف عبد اللّه بن عفيف الأزدي

ثم نادى: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فصعد المنبر فخطبهم وقال: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين يزيد وحزبه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي وشيعته.

فوثب إليه عبد الله بن عفيف الأزدي، وكان ضريراً قد ذهبت إحدى عينيه يوم الجمل مع علي والأخرى بصفين معه أيضاً، وكان لا يفارق المسجد يصلي فيه إلى الليل ثم ينصرف، فلما سمع مقالة ابن زياد قال: يا ابن مرجانة! إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك والذي ولاك وأبوه! يا ابن مرجانة أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بكلام الصديقين؟ فقال: عليّ به. فأخذوه، فنادى بشعار الأزد: يا مبرور! فوثب إليه فتية من الأزد فانتزعوه، فأرسل إليه من أتاه به فقتله وأمر بصلبه في المسجد، فصلب، رحمه الله.[1].

رأس الحسين ‹عليه السلام› في الشام عند يزيد

قال أبو مخنف: ثم إن عبيد الله بن زياد نصب رأس الحسين بالكوفة فجعل يدار به في الكوفة.

ثم دعا زحر بن قيس فسرح معه برأس الحسين ورؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية وكان مع زحر أبو بردة بن عوف الأزدي وطارق بن أبى ظبيان الأزدي فخرجوا حتى قدموا بها الشام على يزيد بن معاوية.

أقبل زحر بن قيس حتى دخل على يزيد بن معاوية.

فقال له يزيد: ويلك ما وراءك وما عندك فقال أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره ورد علينا الحسين بن على في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته فسرنا إليهم فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد الله بن زياد أو القتال فاختاروا القتال على الاستسلام فعدونا عليهم مع شروق الشمس فأحطنا بهم من كل ناحية حتى إذا أخذت السيوف مأخذها من هام القوم يهربون إلى غير وزر، ويلوذون منا بالآكام والحفر لواذاً كما لاذ الحمائم من صقر، فوالله يا أمير المؤمنين ما كان إلا جزر جزور أو نومة قائل حتى أتينا

(١) تاريخ ابن الأثير.

على آخرهم فهاتيك أجسادهم مجردة، وثيابهم مرملة، وخدودهم معفرة، تصهرهم الشمس، وتسفى عليهم الريح، زوارهم العقبان والرخم.

موكب الإباء عند يزيد في الشام

قال ثم إن عبيد الله أمر بنساء الحسين وصبيانه فجهزن وأمر بعلى بن الحسين فغل بغل إلى عنقه ثم سرح بهم مع محفز بن ثعلبة العائذي عائذة قريش ومع شمر بن ذي الجوشن فانطلقا بهم حتى قدموا على يزيد فلم يكن على بن الحسين يكلم أحداً منهما في الطريق كلمة حتى بلغوا.

قال أبو مخنف: حدثني الصقعب بن زهير عن القاسم بن عبد الرحمن مولى يزيد بن معاوية قال: لما وضعت الرؤوس بين يدي يزيد رأس الحسين وأهل بيته وأصحابه قال يزيد:

يفلقن هاما من رجال أعزة ... علينا وهم كانوا أعق وأظلما

(قال أبو مخنف) حدثني أبو جعفر العبسي عن أبى عمارة العبسي قال فقال: يحيى بن الحكم أخو مروان بن الحكم:

لهامٌ بجنب الطف أدنى قرابة ... من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل

سمية أمسى نسلها عدد الحصى ... وليس لآل المصطفى اليوم من نسل

قال: فضرب يزيد بن معاوية في صدر يحيى بن الحكم وقال اسكت.

قال: ولما جلس يزيد بن معاوية دعا أشراف أهل الشام فأجلسهم حوله ثم دعا بعلي بن الحسين وصبيان الحسين ونساءه فأدخلوا عليه والناس ينظرون.

فقال: يزيد لعلي يا علي أبوك الذي قطع رحمي، وجهل حقي، ونازعني سلطاني؛ فصنع الله به ما قد رأيت.

قال: فقال علي: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾.

فقال يزيد لابنه خالد: اردد عليه.

فما درى خالد ما يرد عليه.

فقال له يزيد قل: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ ثم سكت عنه.

ثم دعا يزيد بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين ‹عليه السلام› فأقبل عليه أبو برزة الأسلمي وقال: ويحك يا يزيد أتنكت بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة؟! أشهد لقد رأيت النبي يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن ويقول: «**أنتما سيدا شباب أهل الجنة، فقتل الله قاتلكما ولعنه وأعد له جهنم وساءت مصيرا**».

قال: فغضب يزيد وأمر بإخراجه فأخرج سحباً.

قال: فجعل يزيد يتمثل بأبيات ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدر شهدوا	جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلوا واستهلوا فرحا	ثم قالوا يا يزيد لا شلل
فجزيناهم ببدر مثلها	وأقمنا ميل بدر فاعتدل
لست من عتبة إن لم أنتقم	من بني أحمد ما كان فعل

وهذه الأبيات قال بعضها ابن الزبعرى شاعر قريش يوم أحد، وزاد يزيد البعض من أبياتها، فلابن الزبعرى الأول والثالث، وليزيد الثاني والرابع. [1]

السيدة زينب تفضح يزيد

فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب ‹عليها السلام› فقالت: (الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين، صدق الله كذلك يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تساق الأسارى أن بنا على الله هواناً وبك عليه كرامة؟ وأن ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك جذلان مسرورا، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، مهلاً مهلاً أنسيت قول الله تعالى ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.

أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول الله سبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي؟ وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه بدماء الشهداء؟ وكيف يستبطئ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنآن، والإحن والأضغان؟ ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلوا واستهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا شلل

منتحيا على ثنايا أبي عبد الله سيد شباب أهل الجنة، تنكتها بمخصرتك؟! وكيف لا تقول ذلك؟ وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة، بإراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم! فلتردن وشيكاً

(١) نهاية التنويه في إزهاق التمويه.

موردهم، ولتودن أنك شللت وبكمت، ولم يكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت " اللهم خذ بحقنا، وانتقم من ظالمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا ".

فوالله ما فريت إلا جلدك، ولاحززت إلا لحمك، ولتردنَّ على رسول الله بما تحملت من سفك دماء ذريته، وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم، ويأخذ بحقهم ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ وحسبك بالله حاكما، وبمحمد خصيما، وبجبرئيل ظهيرا، وسيعلم من سوَّل لك ومكنك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلا، وأيكم شر مكانا وأضعف جندا.

ولئن جرَّت عليَّ الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك، وأستكبر توبيخك، لكن العيون عبرا، والصدور حرا، ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا والأفواه تتحلَّب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل، وتعفوها أمهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنما لتجدنا وشيكا مغرما، حين لا تجد إلا ما قدمت، ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾.

فإلى الله المشتكا، وعليه المعوَّل، فكدْ كيدك واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فَنَد، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم يناد المناد ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة ولآخرنا بالشهادة والرحمة.

ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل.)

فقال يزيد: **يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون الموت على النوائح**

فقال علي بن الحسين: (ويلك يا يزيد! إنك لو تدري ماذا صنعت؟ وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي إذا لهربت في الجبال، وافترشت الرماد، ودعوت بالويل والثبور، أن يكون رأس أبي الحسين بن فاطمة وعلي منصوباً على باب مدينتكم وهو وديعة رسول الله فيكم، فابشر بالخزي والندامة غداً إذا جمع الناس ليوم القيامة.)

وقال صاحب المناقب: بعد ذلك قال علي بن الحسين: يا ابن معاوية وهند وصخر لقد كان جدي علي بن أبي طالب في يوم بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله) وأبوك وجدك في أيديهما رايات الكفار.

ثم قال علي بن الحسين: ويلك يا يزيد ! إنك لو تدري ماذا صنعت ؟ وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي إذا لهربت في الجبال، وافترشت الرماد، ودعوت بالويل والثبور، أن يكون رأس أبي الحسين بن فاطمة وعلي منصوباً على باب مدينتكم وهو وديعة رسول الله فيكم، فابشر بالخزي والندامة غداً إذا جمع الناس ليوم القيامة.

وقال المفيد: قالت فاطمة بنت الحسين: ولما جلسنا بين يدي يزيد قام إليه رجل من أهل الشام أحمر فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية؟ يعنيني، وكنت جارية وضيئة فارعدت وظننت أن ذلك جائز لهم؛ فأخذت بثياب عمتي زينب وكانت تعلم أن ذلك لا يكون.

فقالت عمتي للشامي: كذبت والله ولؤمت ما ذلك لك وله.

فغضب يزيد فقال: كذبت والله إن ذلك لي ولو شئت أن أفعله لفعلت.

قالت: كلا والله ما جعل الله ذلك لك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغير ديننا.

قالت: فغضب يزيد واستطار ثم قال: إياي تستقبلين بهذا! إنما خرج من الدين أبوك وأخوك.

فقالت زينب: بدين الله ودين أبى ودين أخي وجدي اهتديت أنت وأبوك وجدك إن كنت مسلما.

قال: كذبت يا عدوة الله.

قالت له: أَنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك.

فكأنه استحيا وسكت.

وعاد الشامي فقال: هب لي هذه الجارية؟ فقال له يزيد: اعزب وهب الله لك حتفا قاضيا.

فقال الشامي: من هذه الجارية؟

فقال يزيد: هذه فاطمة بنت الحسين وتلك زينب بنت علي بن أبي طالب.

فقال الشامي: الحسين بن فاطمة وعلي بن أبي طالب؟!

قال: نعم.

فقال الشامي: لعنك الله يا يزيد تقتل عترة نبيك، وتسبي ذريته، والله ما توهمت إلا أنهم سبي الروم.

فقال يزيد: والله لألحقنك بهم، ثم أمر به فضربت عنقه.

علي بن الحسين يرد على يزيد

ثم إن يزيد لعنه الله أمر بمنبر وخطيب ليخبر الناس بمساوي الحسين وعلي ‹عليهما السلام› وما فعلا، فصعد الخطيب المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم أكثر الوقيعة في علي والحسين، وأطنب في تقريظ معاوية ويزيد لعنهما الله فذكرهما بكل جميل.

قال: فصاح به علي بن الحسين: ويلك أيها الخاطب اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوأ مقعدك من النار، ثم قال علي بن الحسين ‹عليه السلام›: يا يزيد ائذن لي حتى أصعد هذه الأعواد فأتكلم بكلمات لله فيهن لله رضا، ولهؤلاء الجلساء أجر وثواب، قال: فأبى يزيد عليه ذلك، فقال الناس: يا أمير المؤمنين ائذن له فليصعد المنبر فلعلنا نسمع منه شيئا.

فقال: إنه إن صعد لم ينزل إلا بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان. فقيل له: يا أمير المؤمنين وما قدر ما يحسن هذا؟ فقال: إنه من أهل بيت قد زقوا العلم زقا.

قال: فلم يزالوا به حتى أذن له فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم خطب خطبة أبكى منها العيون، وأوجل منها القلوب، ثم قال: أيها الناس أعطينا ستاً وفُضلّنا بسبع: أعطينا العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن منا النبي المختار محمدا، ومنا الصديق، ومنا الطيار، ومنا أسد الله وأسد رسوله، ومنا سبطا هذه الأمة.

من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي، أيها الناس: أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرداء، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حج ولبّى، أنا ابن من حُمل على البراق في الهواء، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

إلى أن قال: أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل ياسين رسول رب العالمين، أنا ابن المؤيد بجبرائيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين، والمجاهد أعداءه الناصبين وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين، وأول السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، وناصر دين الله، وولي أمر الله، وبستان حكمة الله...

فلم يزل يتحدث حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد لعنه الله أن تكون فتنة فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام. [1]

موكب الإباء يعود إلى المدينة المنورة

وتوجه موكب الإباء إلى مدينة الرسول ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› وصلت النساء المكلومات إلى مدينة جدهن محمد ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› وعندما كن على مشارفها خاطبت [سكينة] مدينة جدها وقالت:

(١) بحار الأنوار.

مدينة جدنـــا لا تقبلينا فبالحسرات والأحـزان جينا
خرجنا منك بالأهلين جمعاً رجعنا لا رجـــال ولا بنينا

قالوا: ولما وصلت السبايا المدينة [لم يبق أحد حتى خرج] وجعلوا يضجون ويبكون.

وخرجت زينب بنت عقيل بن أبي طالب وهي تقول: وآحسيناه!!، وآ إخوتاه!! وآ أهلاه!!، ثم قالت:

مـاذا تقولون إن قال النبي لكم مـاذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي بعد مفتقد منهم أسارى وقتلى ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي[1]

عاقبة الظالمين والساكتين

بعد استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) ضاعف الأمويون سياستهم المبنية على الكبت والإرهاب ففي سنة ثلاث وستين أغار جيش يزيد بقيادة مسلم بن عقبة المري على المدينة واستباحوها لمدة ثلاثة أيام وجعل الناس يبايعون يزيداً على أنهم عبيد له يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء فمن امتنع من ذلك قتله[2].

قال ابن كثير في تاريخه: ووقعوا على النساء حتى قيل إنه حبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج.

وسئل الزهري كم كان القتلى يوم الحرة؟ قال: سبعمائة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ووجوه الموالي، ومن لا أعرف من حر وعبد وغيرهم عشرة آلاف.

واستباح الكعبة المشرفة وضربها بالمنجنيق حتى أحرقها واستباح الحرمات وقتل الناس حتى من لجأوا إلى الكعبة قتلهم وهتكوا الحرمات. وهذا شيء متوقع منهم فمن تجرأ على قتل سبط رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وقتل أهل بيته حتى أطفاله، وسبي حريم رسول الله هل يمكن أن يرعوا حرمة أحد بعد ذلك، أو يحترموا أي مقدس من المقدسات بعد أن داسوا بخيولهم صدر الحسين سلام الله عليه؟

وأهلك الله يزيد بن معاوية في تلك السنة فبويع لابنه معاوية بن يزيد، فصعد المنبر وقال بعد الحمد والثناء والصلاة على النبي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): أيها الناس إنا بلينا بكم وبليتم بنا، فما تحصل كرامتكم لنا بضغنكم علينا ألا وإن جدي معاوية بن أبي سفيان

(١) مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار.
(٢) ابن الأثير: ٣/٣١٥.

نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة من رسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› وأحق في الإسلام سابق المسلمين، وأول المؤمنين، وابن عم رسول رب العالمين، وأبا بقية خاتم النبيين، فركب منكم ما تعلمون، وركبتم منه مالا تنكرون، حتى أتته منيته، فصار رهينا بعمله، ثم قلد الأمر أبي وكان غير خليق بالخير، فركب هواه، واستحسن خطاه، وعظم رجاه، فأخلفه الأمل ، وقصر عنه الأجل، فقلّت منعته، وانقطعت مدته، فصار في حفرته رهينا بذنبه، وأسيرا بجرمه، والله لأسفنا له أعظم من أسفنا عليه، ثم بكى وقال: «**إن أعظم الأمر علينا علمنا بسوء مصرعه، وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول** ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› **وأباح الحرمة، وحرق الكعبة، وما أنا المتقلد أموركم، ولا المتحمل بيعتكم، فشأنكم وأمركم، فوالله لئن كانت الدنيا مغنما لقد نلنا منها حظنا، وإن تكن شرا فحسب آل ابي سفيان ما أصابوا منها..**» [1] فسمَّه بنو أمية بعد أربعين يوماً من خلافته وعمره ثلاث وعشرون سنة.

وسلط الله على قاتلي الحسين المختار بن أبي عبيد الثقفي داعية التوابين من طالبي ثأر الحسين‹عليه السلام› وكالهم بنفس المكيال، ولم يبق أحد شارك في قتل الحسين ‹عليه السلام› إلاَّ قتل، وانتقم منهم شر انتقام فقتل عبيد الله بن زياد وأحرقه، وقتل شمر بن ذي الجوشن وألقيت أشلاؤه للكلاب، وقتل عمر بن سعد ونصبت رأسه، ولم ينج الحصين بن نمير ولا خولي بن يزيد. ولم يبق أحد اشترك في كربلاء إلا أخذ جزاءه.

الأمة بخذلانها للحق تدفع ضريبة باهظة

يقول السيد عبد الملك حفظه الله:

الأمة بخذلانها للحق وابتعادها عن أعلام الهدى تدفع ضريبة باهظة وثمناً كبيراً لقاء ذلك في الدنيا والآخرة، تدفع ثمناً كبيراً، تخسر الدنيا وتخسر الآخرة فـ«**ما ترك الناس شيئاً من أمور دينهم استصلاحاً لدنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو أشد منه**».

ويقول: هذه دروس مهمة يجب أن نستوعبها في هذا العصر، وأن تكون هي تعطينا طاقة كبيرة لأن نواصل التحرك في سبيل الله، في مسيرة الحق، في مسيرة القرآن، ضد اليهود والنصارى، في مسيرة الاستجابة لله، الإتباع لما أنزل الله، الموالاة لله وأوليائه والمعاداة لأعداء الله، في مسيرة العزة، في مسيرة المجد، في مسيرة الكرامة، في مسيرة الجهاد.

عرفنا كيف خرج الإمام الحسين من مدينة جدِّه مع خذلان الناس هناك لم ينصروا الحق، كيف خرج من مكَّة بقلَّة قليلة، بتخاذل الناس هناك، كيف كان موقف الأمة بعد الحسين؟ وماذا ربحت؟ هل استقرت حياة الناس؟ لأن البعض يرى أن المشكلة هي عندما نتحرك مع الحق! وأنه لو خذلنا الحق، لو لم ننصر الحق، لو لم نقف مع الحق، سنعيش حياة مستقرّة، سنكون

(١) الشافعي ١٣٨.

مرتاحين وتكون حياتنا رغداً! هل تم ذلك أم ماذا حصل؟ حصل كل الكوارث وكل الطغيان، مظالم رهيبة، وعقوبات إلاهية شديدة.

المدينة التي خرج منها الإمام الحسين وهو يتلو قول الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص:٢١].

مدينة الرسول، مدينة جدِّه، هاجمها يزيد بعشرة آلاف مقاتل، وفي بعض الروايات خمسة وعشرين ألف مقاتل سلطهم عليها، أباح الدماء، وأباح الأموال، وأباح النساء، أباح العِرْض والأرض والثروة والنفس والدم، أباح لجنده كل شيء، أن يقتلوا الناس في المدينة، أن يغتصبوا نساءهم، يهتكوا أعراضهم، ينهبوا ثرواتهم، وحملت ألف امرأة من بنات أهل المدينة ممن كنَّ عذارى لم يكنَّ قد تزوجن، حملن من الاغتصاب، وقُتل في المدينة عشرة آلاف قتيل، بينهم كبار أهل المدينة ووجهاؤها وشرفاؤها الذين خذلوا الحسين، وسكتوا عن الحسين، لم تصلح لهم حياتهم ولم يستقر وضعهم. مكَّة دُمِّرت، ودُمِّرت حتى الكعبة وأُحرقت، العراق نفسه التهب معارك وحروب وفتن كبيرة، حتى الشام لم يسلم من ذلك.[1]

يقول أمير شعراء اليمن الحسن بن علي بن جابر الهبل ‹رضوان الله عليه› المتوفى سنة ١٠٧٩هـ بصنعاء وهو يتحدث عن هذه المأساة:

وبكربلا عرِّجْ فإنَّ بكربلا ... رِمَمًا مَنعْنَ عيونَنا طعمَ الكَرَى[2]

حيثُ الذي حزنتْ لمصرعِه السَّما ... وبكتْ لمقتلِه نجيعًا[3] أحمرا

ويقول:

وما أنْسَ لا أنْسَ الشهيدَ بكربلا ... وهيهاتَ إني ما حييتُ لنادبُهْ

سَبَوا بعدَ قَتْلِ ابنِ النبيِّ حريمَهُ ... وما بَلِيَتْ تحتَ التراب ترائبُهْ

وبات يزيدٌ في سرورٍ ولو درى ... بما قد جرى قامتْ عليه نوادبُهْ

ويقول الصاحب بن عباد:

وتجردوا لبنيه ثم بناته ... بعظائم فاسمع حديث المقتل

منعوا الحسين الماء وهو مجاهد ... في كربلاء فنح كنوح المعول

منعوه أعذب منهل وكذا غدا ... يردون في النيران أوخم منهل

أيجز رأس ابن النبي وفي الورى ... حي أمام ركابه لم يقتل؟

---

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٢٩هـ.

(٢) الكَرَى: النوم.

(٣) النَّجِيعُ من الدم ما كان يضرب إلى السواد.

وبنو السفاح تحكموا في أهل حي ... على الفلاح بفرصة وتعجل
نكت الدعي بن الدعي ضواحكا ... هي للنبي الخير خير مقبل
تمضي بنو هند سيوف الهند ... في أوداج أولاد النبي وتعتلي
ناحت ملائكة السماء لقتلهم ... وبكوا فقد أسقوا كؤوس الذبل
فأرى البكاء على الزمان محللا ... والضحك بعد الطف غير محلل
كم قلت للأحزان: دومي هكذا ... وتنزلي في القلب لا تترحلي

●●●

ما الذي أوصل الأمة إلى ما وصلت إليه؟

كربلاء فاجعة كبرى، وجريمة مروعة، وكارثة كبيرة، توحش وبشاعة لم يحصل مثلها في الجاهلية الجهلاء، وبحق من؟ بحق أهل بيت محمد رسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› وعلى أيد محسوبة على هذه الأمة التي كاد أن يقتل نفسه حرصاً على هدايتها، وعمل طوال حياته لما فيه عزتها وكرامتها وحريتها واستقامتها.

فما الذي أوصل الأمة التي قال الله عنها: ﴿كُنْتُمْ خَيرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ إلى هذه الحال؟! وأن يكون جزاء رسول الله منها هذا العمل بأهل بيته وبعد أن قال لها بأمر الله سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

هل كانت فاجعة كربلاء وليدة يومها؟

تساؤل أجاب عليه السيد حسين ‹رضوان الله عليه› عندما قال في (من وحي عاشوراء):

حادثة كربلاء فاجعة كربلاء هل كانت وليدة يومها؟ هل كانت مجرد صدفة؟ هل كانت فلتة أم أنها كانت هي نتاج طبيعي لانحراف حدث في مسيرة هذه الأمة، انحراف في ثقافة هذه الأمة، انحراف في تقديم الدِّين الإسلامي لهذه الأمة من اليوم الأول الذي فارق فيه الرسول ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› هذه الأمة للقاء ربه؟

وهل قصر رسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› في تربية هذه الأمة وتزكيتها؟

سؤال أجاب عنه السيد عبد الملك حفظه بقوله:

الرسول محمد ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› بذل جهداً كبيراً في هذه الأمة، في تربيتها، في إصلاحها، في أن يزكيها، في أن يبنيها أمة عظيمة، أمة تدعو إلى الخير، أمة تأمر بالمعروف، أمة تنهى عن المنكر، أمة لا تقبل بأن تكون هي في داخلها ساحة للظلم ومسرحاً للجريمة وساحة للطغيان، أمة مرتبطة بالله وبأوليائه، وفي نفس الوقت أمة طاهرة نزيهة وتحمل رسالة عظيمة، أمة لا تقبل بالظلم ولا تقبل بالظالمين، لا تقبل بالطغاة ولا تقبل بالجريمة ولا المجرمين، أمة طاهرة، أمة مرتبطة بالله؛ فساحتها مقدسة من الجريمة والمجرمين، من الطغيان والطغاة، من الفساد والمفسدين، أمة محمد تكون عليها صبغة من قداسة محمد، من طهارة محمد، من زكاء محمد، وتعيش في واقعها قائمة على هدي الله الذي أرسل به محمد، أمة مقدسة بارتباطها بالملك القدوس الله العزيز الحكيم، وعزيزة وكريمة وساحتها كريمة ونفوس أهلها كريمة.

فكيف حصل التغير في واقع تلك الأمة؟

فكيف حصل تغير في واقع الأمة، تلك الأمة التي بذل محمد رسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› ذلك الجهد الكبير في إصلاحها وتزكية أهلها، تزكية النفوس وتطهير القلوب وتقويم السلوك وإصلاح العمل وتسديد القول، كيف تغيرت إلى أن أصبحت في الحالة الغالبة أكثر أبنائها، أغلب أبنائها أصبحوا ذوي نفوس دنيسة، دنيئة تميل إلى حطام الدنيا، تبيع الحق، وتشتري بدلاً منه الباطل، تناصر الظلم وتقف مع المجرمين في وجه المصلحين ووجه الخيرين، تقف في صف الباطل ضد الحق، كيف حصل هذا التغير؟ ما الذي أوصل الأمة إلى مثل تلك الحالة التي هي انقلاب؟ انقلاب على الرسول، وانقلاب على الإسلام، وانقلاب على قِيَم الإسلام، وانقلاب وتغير وحالة ارتداد رهيبة، وتقهقر إلى الوراء في خطوات كانت الأمة قد خطتها في سبيل الحق، في صراط العزيز الحميد، في طريق المجد، في طريق الشرف، كيف حصل ذلك التحول والذي استمر جيلاً بعد جيل؟.

- فالأمة منذ ذلك الحين لم تزدد إلا انحطاطاً، لم تزدد إلا هواناً، لم تزدد إلا ابتعاداً عن دينها، عن رسولها، عن قيم إسلامها، لم تزدد إلا ارتماءً في أحضان المجرمين، ووقوفاً في صف الطغاة، ومناصرة وانطلاقة في الإثم والعدوان والطغيان والإجرام، هذه الحالة الخطيرة والتي يجب أن تستيقظ الأمة منها؛ لأنها عندما تستمر فهي تتجه بالأمة بلا شك نحو الهاوية، نحو الهاوية في الدنيا حيث السقوط والإذلال الذي نلحظه ويزداد أكثر فأكثر والهوان الذي وقعت الأمة فيه نتيجة لاتجاهها وسيرها في الطريق الذي يوصلها إلى الخسران والذِّلة والهوان والضياع وإلى شفير جهنم، إلى غضب الله، إلى سخط الله في الآخرة.[1]

لقد اعترى هذه الأمة بعد نبيها ما اعترى سابقاتها من الأمم بعد أنبيائها

بعد ذلك الذي حققه الرسول ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› وللأسف الشديد اعترى هذه الأمة ما اعترى سابقاتها من الأمم بعد أنبيائها من التحريف لمفاهيم الدين ومن دخول مفاهيمَ مغلوطة وظلامية بدلاً عن ثقافة القرآن الكريم وصَدَقَ رسولُ الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› حين قال «**لتحذن حذو من قبلكم**» ، بل سعى الكثير من الظلاميين والمضلين تحت مؤثرات الأهواء لرغبات أو مخاوف أو أطماع أو عصبيات لتحريف مفاهيمَ ومعاني النصوص القرآنية ومعارف الإسلام بعد أن عجزوا عن تحريف النص القرآني كلُّ ذلك لتضليل الأمة وخدمة الجائرين والمتسلطين والظالمين وقد ترك ذلك أثراً سيئاً في

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٢٩هـ

واقع الأمة أوصلها إلى ما وصلت إليه من انحدار وهبوط وتخلف وشتات وفرقة وتظالم وجهل مركب ، وأميَّة في المفاهيم والرؤى، وانعدام للحكمة، وغياب للرشد.[1]

من دلالات مأساة كربلاء

إن من دلالات مأساة كربلاء: أنها كشفت مدى ما وصلت إليه الأمة من انحراف عن منهج الإسلام، وعن مبادئ الإسلام، وعن رموز الإسلام الحقيقيين ، وعن قيَم وأخلاق الإسلام فكان هناك فجوة كبيرة جداً ما بين الإسلام في منهجه الحق، في قيَمه المُثلى وأخلاقه العُظمى ورموزه الأبرار، وما بين واقع الأمة في اتجاهاتها في مواقفها في مسيرة حياتها، في تاريخ الأمة في ماضيها وفي حاضرها أيضاً العدد الكبير من الأحداث والمواقف والوقائع والمحن التي تُجلّي وتكشف واقع الأمة وما فيه من خلل إلا أن مأساة عاشوراء هي الحدث الأبرز والأكبر وأكثرها كشفاً وإيضاحاً لحقيقة الواقع ومدى ما وصل إليه الواقع.

إذاً يتضح لنا أن مشكلة الأمة هي في الانحراف.. الانحراف الذي شاب انتمائها للإسلام في منهجه، وفي رموزه، وفي أخلاقه، وقيَمه، وفي مبادئه، واكتفاءها بالشكليات، بعض الشكليات وبعض العبادات المحدودة، وبالتالي لم يكن هناك من ثمرة للإسلام في واقعها حينما أصبح شكلاً لا مضمون له، ضاعت الكثير من الأساسيات وأُبعدت عن المنهج وعن الرموز الحقيقيين.

وهنا ندرك أهمية الانتماء الحقيقي الصادق الواعي إلى الإسلام إن ثمرته عبوديةٌ لله، وسمعٌ وطاعة، وارتباطٌ عمليٌ بمنهج الله، وارتباطٌ عمليٌ صحيحٌ بالقدوة، والتزام بالأخلاق، وتحل بالقيم وثمرة هذا الانتماء في واقع الحياة عدلٌ، وخيرٌ، ووحدة، ورحمة، وأخوَّة، وعزَّة، وقوَّة، ورعايةٌ وبركةٌ من الله سبحانه وتعالى، لذلك يجب أن تبدأ عملية التصحيح في الذهنية لدى الفرد المسلم من هذه النقطة: الانتماء الصحيح للإسلام الذي يُثمر أثراً في الواقع، أثراً عظيماً مختلفاً عن الأثر الذي طغى على واقع حياة أُمتنا.

إن الانتماء إلى الإسلام الانتماء الصحيح - وحتى مجرد الانتماء - هو التزام وهو ميثاق بين الإنسان وربِّه، عندما تحسب نفسك إنساناً مؤمناً، وتَدَّعي الإيمان، أنت تقطع ما بينك وبين الله التزاماً، وأنت تواثق الله ميثاقاً على السمع والطاعة والالتزام التام، والسير على نهجه، والتقبل لأمره، والانتهاء عن نهيه، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى مذكراً حتى نتذكر أهمية هذا الأمر ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [المائدة: ٧] حينما يكون انتماء الإنسان انتماءً شكلياً لا ينبع من إرادة حقيقية من داخل قلبه من ذات صدره، الله سبحانه وتعالى هو عليمٌ

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة المولد النبوي ١٤٣٦هـ.

بذات الصدور، وأكبر ما يُدلِّل ويكشف واقع الإنسان في مصداقيته في انتماءه إلى الإسلام.. إلى الإسلام في مبادئه، إلى الإسلام في قيمه، إلى الإسلام في أخلاقه، ما يكشف مصداقية الإنسان هي المواقف والأحداث الكبيرة، والمتغيرات المتنوعة، والتحديات والأخطار.

الإمام الحسين لا يخص مذهباً

وعندما نستذكر الحسين ‹عليه السلام› فليس ذلك بدافع مذهبي ولا طائفي؛ لأن الحسين ‹عليه السلام› لا يخصّ مذهباً ولا يخصّ طائفة إنه رمز لكل الأمة رمز لكل البشرية، هو ‹عليه السلام› رمز في طريق الحق والخير الذي ثمرته السعادة والعزة ومنتهاه رضوان الله والجنَّة، رمزٌ لكل الصالحين الصادقين الذين مآل أمرهم وعاقبتهم الفوز بالجنة ورضوان الله ولن يأنف أي حُرّ ولا طاهر ولا عزيز ولن تأخذه العزَّة بالإثم من أن يحب الحسين ويقتدي بالحسين ويأخذ من روحية الحسين ويتعلم في مدرسة الحسين.

ولشباب أمتنا الذين يتأثر الكثير منهم برموز وهمية لا يستفيدون من تأثرهم بها أي إيجابية نقول: هذا هو الحسين سبط رسول الله سيد شباب أهل الجنة، الرمز المثالي لكل الأمة وللشباب وللشباب أيضاً هذا هو الرمز الذي يجب أن تتعرفوا عليه وعلى سيرته، وأن تحملوا رايته وتقتبسوا من روحيته.

ونعود إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - وهو يُقدِّم لنا الحسين ويُعرِّفنا عليه وعلى مقامه ومكانته ودوره وما يُمثِّل هذا الرجل العظيم للأمة وللبشرية جمعاء فيقول صلى الله عليه وآله وسلم - «**حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الأسباط**».

من هذا النص ندرك المقام العظيم للإمام الحسين ‹عليه السلام› وموقعه المهم في الإسلام وفي هداية الأمة، ونرى فيه روحية جَدِّه وعزة جَدِّه ومشروع جَدِّه، في: «**حسين مني وأنا من حسين**» واحدية المشروع، يعني: أن الحسين امتدادٌ بعد أخيه وأبيه امتداد للنهج المحمدي الأصيل ، امتداد للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم - في مقامه العظيم في هداية الأمة في بنائها وإصلاحها.

«**أحب الله من أحب حسينًا**» في طريق الحب لله نلتقي بالحسين ونحبه؛ لأنه جدير بالمحبة وهو ولي الله جدير بالمحبة عندما نحبه يحبنا الله، ومحبتنا له لمقامه العظيم كرمز من رموز الهدى، ومحبتنا له هي محبة لله، هي محبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - ، ومحبتنا له لما يحمله من قِيَم وأخلاق ونور وبصائر، محبتنا له تعني: طهر المشاعر وزكاء النفس وسلامتها من التدّنس بحب مجرم أو ترميز طاغية، تعني: صلاح سريرتنا، وتعني:

إنسانيتنا ، وتعني: طهارة قلوبنا القلوب التي تعشق الخير وأهله وفي المقابل تكره وتمقت الظلم والظالمين والجريمة والمجرمين، تعني: استقامتنا في حبنا وكرهنا وولائنا وعداءنا، تعني: النُّبل والشرف والصلاح، تعني: عشق الموقف والسير في الطريق، وتعني: التضحية والعطاء والثبات.

يجب أن تتعزز وتترسخ الثقافة الحسينية في الثورة على الظالمين والطغاة

ولذلك يجب أن تتعزز وتترسخ الثقافة الحسينية في الثورة على الظالمين والطغاة، وعدم القبول بهم في موقع السلطة أبداً مهما كان الثمن؛ لأنهم لا نفع فيهم ولا فائدة ترجى منهم، وليس للشعوب أي مصلحة منهم؛ لأنهم ليس لديهم أساساً أي تفكير و لا اهتمام في كيف يبنوا واقع الأمة ويحققوا لها العدل والرخاء والأمن والاستقرار، وكيف يسخّروا الإمكانيات والثروة العامة التي هي ملك الأمة في خدمتها ومصالحها، هم بعيدون عن ذلك، كل تفكيرهم كل انشغالهم كل اهتمامهم هو كيف يقووا نفوذهم، وينموا ثرواتهم، ويُحكموا سيطرتهم وسلطتهم ليتمكنوا أكثر من ممارسة الظلم، وليكونوا أشد اقتداراً لممارسة الطغيان والاستبداد، وتفكيرهم منصبّ في كيف يشعلون الحروب والفتن والمآسي، كيف يقتلون ذاك، وكيف يسجنون ذاك ، كيف ينهبون تلك الثروة، كيف يستحوذون على تلك المصادر لأرزاق الناس ومصالحهم، هذا هو واقع الطغاة والظالمين، لا يمكن أن تراهن الأمة عليهم ولا أن تعتمد عليهم لا لصلاح دين ولا لصلاح دنيا.

والعدل هو ضرورة للحياة لا تستقيم الحياة إلاَّ به، لا يستقيم واقع الناس حتى في دنياهم إلاَّ على أساسه، بدونه لا قيمة للحياة، تكون كلها ظلم وهوان واضطهاد، لذلك لا حرج من التضحية من أجل إقامة العدل «**ليرغب المؤمن في لقاء الله محقًا**».

ولذلك التغيير والعمل على إصلاح الواقع هو مسؤولية وهو ضرورة، هو ضرورة لصلاح حياة الناس، لاستقرار حياتهم، لأمنهم، لسلامهم، لعزتهم، للرخاء، للارتقاء في واقع الحياة وفي مستوى المسؤولية، هو ضرورة وهو مسؤولية علينا كمسلمين، نحن أولى الأُمم بإقامة العدل في واقعنا، لا يجوز ولا يليق ولا ينبغي أن نكون كمسلمين في واقعنا أكثر الأُمم معاناة من الظلم والاضطهاد، وأسوأ ساحة تقبل بالظالمين ويهيمن عليها الظالمون والمجرمون.[1]

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٣٤ هـ.

الحسين ‹عليه السلام› يُمثّل بحقّ مدرسة إسلامية متكاملة

الحسين ‹عليه السلام›. يُمثّل بحقّ مدرسة إسلامية متكاملة، مدرسة إسلامية، من سلوكه من موقفه نعرف الإسلام بحقيقته، نعرف الإسلام بسلوكه، الإسلام بقيمه، خاصة ونحن في هذا العصر في مرحلة يحرص فيها أعداء الإسلام على تزييف الإسلام، على صناعة إسلام أمريكي.

إسلام يتوافق مع الرغبات الأمريكية، يتوافق مع الفجرة والفاسقين وعملاء اليهود والنصارى، إسلام من نوع آخر، يختلف عن الإسلام الذي كان عليه محمد، ومنبعه القرآن وأعلامه أهل البيت ‹عليهم السلام›.

لكن الإمام الحسين ‹عليه السلام›. يقدِّم دروساً مهمة في هذا السياق، يجب أن ننظر إلى الإسلام أنه هكذا: دين يربينا على العزة والكرامة، ويربينا على ألاّ نقبل أبداً بالإذلال ولا الهوان، يربينا على أن نكون في صف الحق وأهله ضد الإثم والعدوان والطغيان، يربينا الإسلام أن تكون نظرتنا للحياة النظرة الحقيقية والصائبة، أن نكون عشاقاً للحق وأنصاراً للحق، وعاملين على إقامة الحق ليسود في الحياة، والعدل ليكون منهجاً قائماً في الحياة.

الحياة بدون الحق، والحياة بدون تعاليم الله، الحياة بدون العدل تصبح حياة مظلمة، حياة جائرة، حياة مأساوية، حياة مهينة، حياة لا قيمة لها أبداً.

لذلك؛ الإمام الحسين وهو يخاطب أصحابه وأنصاره المخلصين، الفئة الصابرة الصادقة الوفية، يقول لهم: «**ألا وإنه قد نزل من الأمر ما ترون، وإن الدنيا قد تغيَّرت وتنكَّرت وأدبر معروفها، واستمرَّت جداً -أي صارت مرة -واستمرَّت جداً، فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحق لا يُعمل به، وأن الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا شقاوة وبَرَما**».

من أكثر ما يُسيء إلى الناس الحرص الشديد على الحياة ولو كانت حياة مهينة ذليلة، حياة يعيش الإنسان فيها بشقاء وهوان وذلة، وبعدها يكون إلى جهنم، يكون في شقاء للأبد، شقاء امتداد لشقاء، وهوان أكبر امتداد لهوان أصغر.

الإمام الحسين ‹عليه السلام› يقدّم لنا هذا الدرس المهم، عندما يصبح الحق لا يُعمل به؛ لأن الحق هو منهج للعمل، هناك أشياء كثيرة هي حق يجب أن نعملها، وعندما نعملها وهي حق فإن في ذلك صلاح دنيانا، صلاح حياتنا، الخير لنا في الدنيا والآخرة، عندما يصبح الحق، الحق وهو من الله، دين الله، تعاليم الله، الأعمال والمواقف التي هي حق تصبح ضائعة، لا يهم الناس فيما يعملون أن يعملوا الحق، ولا يهم الناس في مواقفهم التي يقفونها أن تكون مواقف حق، حينما يصبح الحق بعيداً عن واقع العمل، يصبح الحق لا وجود له إلا في بطون الكتب،

أو في طيات الآيات القرآنية؛ لكن لا وجود له في الواقع، لا وجود له في الحياة، لا يُعمل به، لا يُطبَّق، ماذا يكون البديل؟ ماذا يكون البديل عن الحق؟ أليس هو الباطل؟ أليس هو الظلم؟ أليس هو الفساد؟ أليس هو الطغيان؟ إنه هو البديل عن الحق!.

وعندما تصبح الحياة هكذا لا وجود لها في الحق، لا وجود فيها للحق في واقع العمل، والموجود بديلاً عن الحق هو الظلم والفساد هو الطغيان، هو الهوان والخسران في الدنيا والآخرة، هل للحياة قيمة؟ لا.

في مثل هذه الحال، في مثل هذه الحال، من أهم ما يجب أن يحرص عليه الإنسان أن يلقى الله محقاً، إذا تخلى الآخرون عن الحق، وتنازلوا عن الحق، وتركوا الحق، وابتعدوا عن الحق فلتحرص أنت ألاّ تفعل ذلك كمؤمن.

«**ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً**» أنت ستلقى الله، الناس بطواغيتهم، بمستكبريهم الذين يرهبونهم ويخافونهم أحياناً أكثر من الله، الكل سيلقى الله، الكل سيلقى الله، ومصير الجميع إلى الله، وأمام الله سيتحمل الإنسان المسؤولية، سيسألك الله، ويحاسبك على الحق الذي أضعته، وعلى الحق الذي خذلته، الموقف الحق الذي لم تقفه سيحاسبك الله عليه، ويسألك عليه، ويعاقبك عليه، ولا يفيدك أولئك الطغاة والمجرمون، أولئك الطغاة والمجرمون الذين من أجلهم أضعت الحق وخوفاً منهم، أو رغبة فيما لديهم من حطام الدنيا الزائل، بعت الحق، وضحيت بالحق، وتركت الحق، لا يفيدونك.

يهم الإنسان المؤمن، هذا درس مهم قدمه لنا سبط رسول الله، سيد شباب أهل الجنة، قدمه قولاً وقدمه موقفاً، قدمه عملاً، قدمه بصوته، وقدمه بدمائه الزكية، وقدمه بمظلوميته الكبيرة، وقدمه بأشلائه التي تقطعت في أرض كربلاء «**ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً**» لتحرص، لتكون هذه رغبة لديك، أمنية لديك أن تلقى الله محقاً، على الحق عاملاً به، ناصراً له، متمسكاً به؛ لأن الحياة فعلاً «**الحياة مع الظالمين شقاوة**» تحرص، قد تبيع الحياة، أو قد تبيع الحق، وقد تسكت عن قول الحق، قد تخذل الحق من أجل ماذا؟ من أجل أن تبقى حياً! حياً مع من؟! تحت هيمنة من؟! تحت قيادة من؟! الظالمين، حياً مع الظالمين ليذيقوك سوء العذاب.

أليست الشعوب العربية في عصرنا هذا شعوب مقهورة ومظلومة؟ أليست تُظلم يومياً؟ ظُلمت في اقتصادها! تُظلم في معيشتها! تُظلم في كل شيء في كل شيء، ظلم بكل أشكاله، ظلم بكل ألوانه، قد تحرص أن تبقى حياً وتبيع الحق وتسكت عنه وتخذله ولا تنصره؛ حفاظاً على حياة، ولكن حياة شقاوة، حياة بَرَماً، حياة ممقوتة، وبعدها جهنم.

لكن الموت في سبيل الله، الموت مع الحق، الموت محقاً هو سعادة، هو رحيل من ساحة الظلم، رحيل من واقع الظلم والاضطهاد والقهر والهوان والمعاناة والمتاعب إلى جنة الله،

إلى رحمة الله، إلى رضوان الله، إلى السعادة عند الله، فكيف يتهرب الناس من هذا؟! كيف يتهربون؟ كيف يحرص الناس على الإبقاء في حياة وعلى حياة مملوءة بالظلم والمتاعب والمُعاناة والشدائد والهوان والقهر والطغيان، على أن لا يرحلوا إلى حياة سعيدة هنيئة، حياة الشهداء، حياة الأبرار، في رحمة الله، في رضوان الله، في جنة الله، في سعادة لا نهاية لها، حياة عزيزة عند الله، في ضيافة الله، في دار الله، في رحمة الله.

«**ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً؛ فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا شقاوة وبرما**» ووقف الإمام الحسين ‹عليه السلام› ذلك الموقف العظيم، جسَّد هو هذا الموقف، لم يقل فقط ولكنه فعل، عندما قال: «**ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً**» فإن الإمام الحسين بالقلة القليلة وفي غُربة كبيرة بين أوساط هذه الأمة، لقي الله محقاً، وبالحق لقي الله مخضَّباً بدمائه مظلوماً، لقي الله وفيه أكثر من ثلاثين طعنة، وأكثر من ستين ضربة، وهو مشكوك بالسهام لقي الله، وحينما أسقطته الأمة على الأرض صريعاً، وهو حفيد رسول الله، وريث رسول الله، سبط رسول الله، فإن الأمة سقطت، سقطت وأسقطت نفسها.

عندما أصبحت الأمة هكذا تُسقط أخيارها في ميادين القتال، بسيوفها وفيما بعد ببنادقها ومدافعها وصواريخها، فإن الأمة تسقط أكثر فأكثر، للأسف، للأسف الشديد بدلاً من أن تخطو الأمة في خطى نبيها وعلى دربه، فإنها خطت خطوات على درب بني إسرائيل، بني إسرائيل الذين لهم تاريخ طويل في قتل أنبيائهم، وقتل الآمرين بالقسط فيهم، قتل أخيارهم، ومناصرة مجرميهم وطغاتهم.

وهذا ما سبب فعلاً الهوان والذلة لهذه الأمة، مثلما كان هناك الهوان والذلة مثلما ضُربت الذلة والمسكنة على بني إسرائيل فيما سبق، كانت النتيجة هي نفس النتيجة.[1]

من مدرسة الحسين ننطلق في هذه المسيرة رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً

بهذه الروحية، الروحية الإيمانية التي تحمل الإباء والعزة والاستعداد العالي للتضحية تستطيع الأمة أن تُواجه الجبروت، جبروت الظالمين وطغيانهم، ولن يركعها شيء من ظلمهم ولا وحشيتهم ولا فظائع جرائمهم، ستكون الأمة في صمودها في ثباتها في قوتها وتمسكها بالحق أقوى من كل جبروتهم وفوق كل طغيانهم، أكثر صموداً وأعظم استبسالاً، وأقوى ثباتاً في مواجهة الطاغوت، بهذه الروحية تستطيع الأمة أن تُقيم الحق وأن تجعل للإسلام سيادة في واقعها يحكم توجهها وتبني عليه واقعها.

أما من يظن أو يتوهم أن بالإمكان أن يجمع بين حالة الإيمان وروحية الخنوع والخضوع

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٢٩ هـ.

والذل والاستسلام والعجز واليأس والإحباط أنه يمكن أن تكون هذه طريقة لإقامة حق أو لتغيير واقع أو لإصلاح خلل أو لمواجهة طغيان الطغاة فهو واهم، واهم، هذه الروحية -الخنوع والخضوع -هي التي ركَّعت الأمة على مدى مراحل كبيرة من تاريخها لمجرمين سيئين على مستوى فضيع من الدناءة والانحطاط والسوء والشر والظلم والطغيان والإجرام، كانت هذه هي النتيجة هذه هي النتيجة.

نحن في منطلقنا في هذه المسيرة - برجالها بجماهيرها بنسائها بأطفالها برموزها بأبطالها بقادتها - ننطلق على هذا الأساس بالروحية التي كان يحملها الحسين ‹عليه السلام› مقتبسين من ذلك النور وسائرين في تلك الطريق، طريق الجهاد والاستشهاد، هذه المسيرة التي كانت ولا زالت وستظل تُقدِّم قوافل الشهداء من شبابها الأعزاء ورجالها الأبطال في ميادين الجهاد وساحات وميادين الثورة تنطلق من هذه المبادئ الراسخة من مدرسة الحسين من مدرسة الإسلام من مدرسة القرآن من روحية الأنبياء تقتبس وتأخذ، وبنورهم تستضيئ وتستبصر، ومن عزيمتهم تأخذ وتنطلق وتندفع على ذلك الأساس؛ لأن هذا هو الطريق الصحيح؛ لأن هذا هو الصراط المستقيم؛ لأنه طريق العزة؛ لأنه طريق الكرامة.

من هذه المدرسة مدرسة الحسين المدرسة الإيمانية بعزتها بمنهجها بثقافتها بقرآنها بنبيِّها بإسلامها ننطلق في هذه المسيرة رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، جماهير ومقاتلين في مواجهة الخطر الأمريكي الإسرائيلي نتحرك بروحية الإيمان بمنهج القرآن بعزة الأنبياء وبعزة ورثة الأنبياء ومقتبسين من عزة الله، نتحرك في مواجهة كل المخاطر في مواجهة كل التحديات في كل الميادين.

نحن أيّاً كانت العناوين، أيّاً كانت المؤامرات مهما كان حجم التحديات، عدو يواجهنا من الداخل أو آخر يتآمر علينا من الخارج سنقف واثقون بالنصر، حاضرون للشهادة، معتزون بعزة الإيمان، مستبصرون بنور القرآن، معتمدون على الله، متوكلون على الله، واثقون من تأييد الله، وواثقون أن العاقبة للمتقين.

ونؤكد أننا بإذن الله سبحانه وتعالى ماضون في هذا الطريق، طريق الحسين، طريق عليّ، طريق محمَّد، طريق الله المستقيم، الصراط المستقيم، نهج القرآن الكريم، النهج القويم، متبنين لنفس المواقف، صادعون بالحق بإذن الله، مواجهون للباطل، مواجهون للفساد، نتحرك في هذه المسيرة القرآنية على ضوء تعاليم الله سبحانه وتعالى؛ لإحقاق الحق، لإقامة العدل، للأمر بالمعروف، للنهي عن المنكر، لمواجهة الفساد، لمواجهة الباطل، رضي من رضي، أو لامنا من يلوم.

نحن في هذه المسيرة، نحن في هذه المسيرة القرآنية بدينها بنهجها بثقافتها بعزتها بجهادها بشهدائها بدماء شهدائها الأعزاء نقول ونؤكد أننا لن نقبل مطلقاً في المستقبل أن

يعود وضع اليمن إلى ما كان عليه سابقاً من هيمنة للظالمين واستحكام للطاغوت، من عبث بالناس وبحياتهم وبثروتهم وبواقع حياتهم السياسي والثقافي والاقتصادي، سنظل في هذه المسيرة - برجالها المقاتلين المجاهدين وبجماهيرها الوفية - سنظل ماضون قُدُماً قُدُماً بإصرار وعزيمة إيمانية ومسؤولية عالية لمواجهة كل التحديات مهما كان حجمها.

نحن أمة اختارت لنفسها أن تكون ثقافتها ثقافة القرآن وأن يكون واقعها قائماً على الحق، قائماً على العدل، قائماً على المعروف، بعيداً عن المنكر، ومن يأتي من أُمَّة المنكر أمريكا أو أوليائها يسعى لأن يفرض علينا واقعاً آخر لن نقبل له بذلك أبداً، وسنبقى مع كل الأحرار والشُّرفاء من أبناء شعبنا نسعى لأن تتوحَّد الكلمة وأن يتحرك الجميع باتجاه مستقبل واعد، مستقبل خير، مستقبل يقوم على أساس العدل لتحقيق العدل لهذا الشعب المظلوم المحروم الذي ظل عشرات السنوات يعاني في واقع حياته، تُستباح دماء أبنائه، تُنهب ثروته ويُعذَّب بالفقر وهو شعب له ثروة كبيرة وثروة هائلة، يُعذَّب بالقتل، يُعذَّب بالفقر، يُشتَّت شملُه، تُغزى ثقافته، ويُنشر فيه الباطل والضلال، ويُفرَّق جَمعُه ويُسام سوء العذاب.

آن لتلك المرحلة أن تولي وإلى غير رجعة إن شاء الله، وسنبقى بإذن الله سائرين في هذا الطريق، في مقدمة هذا الطريق الأنبياء وخاتمهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم بعده أولياء الله رموز هذا الدين وفي مقدِّمتهم الإمام علي، الإمام الحسن، الإمام الحسين، السلسلة الممتدة من أعلام الهدى ‹عليهم السلام› من نورهم نستضيء ومن روحيتهم نحمل وعلى مواقفهم نتحرك، أمامنا الغاية المنشودة رضا الله والجنَّة، والهدف الرئيس إقامة الحق، إقامة العدل، مواجهة الظلم، مواجهة الفساد، والعمل على إزالة المنكر، والأمر بالمعروف؛ لنحقق في واقعنا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].[1]

●●●

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٣٢ هـ

الأحداث والمتغيرات ودورها في كشف واقع الناس

لقد شاء الله وأراد أن يكشف واقع عباده، وأن يُجلِّيه من خلال الأحداث والمتغيرات التي تحمل في طياتها عوامل مؤثرة وكاشفة لواقع الإنسان ولذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ألم × أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ × وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ [العنكبوت:١- ٣] شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يُجلِّي واقع عباده ومصداقيتهم في انتمائهم للإيمان من خلال الأحداث، من خلال المواقف، من خلال المتغيرات التي فيها تحديات وأخطار، لا يمكن أن نغالط الله ، ولا يمكن لأحد أن يخادع الله، ولا يمكن للزيف أن يبقى هو مُغطِّياً على الحقيقة، هذه إرادة الله، لا يمكن أن يكفي الواقع الشكلي القائم على المزاعم والادعاءات، التَّلبُّس بالإسلام، التَّلبُّس بالإيمان، بينما في الواقع العملي في الواقع الحقيقي للإنسان، في توجهه الحقيقي من داخل قلبه لديه اتجاه آخر ولديه غش ولديه عوامل مؤثرة تبعده عن نهج الله وعن التسليم لله سبحانه وتعالى.

الابتلاء أيضاً فيما يتعلق بالمسؤولية ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١] حينما تكون الأوضاع مستقرة ولا تبرز التحديات تكثر المزاعم ويكتفي الناس بالشكليات ليُدلِّلوا منها على ما هم عليه وما يدعونه، لكن إرادة الله سبحانه وتعالى أن يكشف الواقع ويُدلِّل على الحقيقة بما يدل عليها بصدق ولهذا عندما يقول: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد:٣١] حتى يتضح حقيقة ما الإنسان عليه مدى مصداقيته مع الله، توجهه إن كان محقاً أو كان مغشوشاً.

لذلك ينبغي أن يلتفت الإنسان إلى أهمية الصدق مع الله والارتباط الوثيق به، لا يبني الإنسان مسيرته الإيمانية وتوجهه الإيماني على الزيف، لا يغش نفسه ولا يخادع نفسه ويبني واقعه على الزيف من دون ارتباطٍ وثيقٍ بالله سبحانه وتعالى وأخذٍ بأسباب التوفيق تفادياً للسقوط.

أبرز عوامل السقوط

وعوامل السقوط أمام الاختبار الإلهي، أمام الأحداث والمتغيرات، عوامل السقوط هي واحدة أمام كل حدث في كل عصر وفي أي زمن، عوامل واحدة، أساسها السلبي الموقف من هدى الله سبحانه وتعالى عندما يكون موقفاً سلبياً، عندما لا يرتبط الإنسان بهدى الله الارتباط الوثيق، ارتباط الاهتداء والاستبصار والتمسك، والإتباع، والاستفادة منه في الواقع التربوي لزكاء النفس وطهارة القلب.

يتفرع عن هذا العامل الأساسي عوامل متعددة في مقدمتها:

التضليل

التضليل للإنسان عندما لا يتحصَّن الإنسان بهدى الله يكون لديه قابلية كبيرة لأن يتأثر بما يصدر من الآخرين، ما يصدر من تضليل، من أباطيل، من دعايات، فيكون عُرضةً للتأثر بهم، والسلوك في نهجهم، والإتباع لهم، والكون في معيتهم.

حب السُلطة

نجد عاملاً آخر إلى جانب المال، من أهم العوامل أيضاً عندما أضاعت الأمة المعايير والأسس والقيم والأخلاق، وأصبح هناك أشياء أخرى تُبنى عليها المواقف، عامل آخر هو: المنصب، البعض من الناس في مقابل الحصول على منصب معيَّن أو وظيفة معيَّنة هو حاضر ومستعد ولا يمانع أبداً في أن يتخذ أي موقف مهما كان باطلاً، وفي أن يمارس أي ممارسة مهما كانت بشعةً وظالمةً لا تتفق مع الإسلام ولا حتى مع الفطرة الإنسانية بأي حال من الأحوال، المهم هو المنصب، والمهم هو الوصول إلى المنصب، مستعد أن يقاتل أياً كان، ويقتل أياً كان، ويفعل أي شيء ممكن في مقابل الوصول إلى منصب أو الحصول على وظيفة.

وهذا من أكبر الأخطار ومن أكبر وأسوأ العوامل التي انحرفت بالكثير من الناس عن نهج الله وعن دين الله سبحانه وتعالى، وكان هذا بارزاً في مأساة عاشوراء، كان من أبرز المواقف السلبية، موقف عمر بن سعد بن أبي وقاص، وواضح أن ما جرَّه إلى ذلك المنزلق الخطير والجُرم الكبير في قيادة الجيش الذي يتوجه لارتكاب الجريمة الكبرى الفظيعة للغاية وهي قتل الإمام الحسين ‹عليه السلام› ومن معه من أبناءه وأبناء أخوته وأقاربه وأصحابه الشرفاء والأتقياء الأبرار.

كان عمر بن سعد طامعاً في الحصول على ولاية الرَّيّ، والرَّيّ منطقة معروفة في إيْرَان، وحُبِّه للسلطة وهوسه بها ونزوع نفسه إليها جعلته مستعداً أن يعمل أي شيء، أن يعمل أي شيء، مستعداً لارتكاب أي جريمة حتى جريمة بهذا الحجم، جريمة بهذا المستوى، قتل سبط رسول الله سيد شباب أهل الجنَّة، وريث النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، هادي الأمة والذي يجب أن تلتف حوله الأمة في عصره لتهتدي به لتسير على نهجه، ليكون هو من يبني واقعها، من يصلحُ واقعها، الرجل العظيم لم يكن هناك من ممانعة لدى عمر بن سعد أن يرتكب هذا الجُرم بحق هذا الرجل العظيم.

الهوس الشديد لحب السلطة والنزوع الشديد إليها، جعله يرجِّح ملك الرَّي وهو يدرك أن في قتل الإمام الحسين ‹عليه السلام› عذاب الله والمصير إلى جهنم.

ثم يتخذ الخيار الأحمق والأسوأ مُلك الرَّي ولو كان بعده النار، ولو كان بعده الخُسران

الدائم، ولو تورَّط في سبيل ذلك لارتكاب الجرم الأكبر والأفظع والأقبح لم يكن لديه تردُّد.

هكذا هي تربية الباطل التي تربي الإنسان على أن يكون عاشقاً للمنصب والسلطة والتسلط بأي ثمن، بأي ثمن ولو كان الأمر يستدعي أي موقف مهما كان ظلماً وسوءاً ولو كانت العاقبة جهنم.

ونجد هذه الأحوال وهذه العوامل هي المؤثرة ولا زالت في واقع الكثير من الناس من أبناء أمتنا، الحال امتد عبر الأجيال، ونجد اليوم الشواهد الكثيرة على الذين يعملون أي شيء مقابل المال، وعلى الذين يعملون أي شيء مهما كان مقابل الوصول إلى منصب أو الوعد بمنصب أو وظيفة.

على مدى تاريخ أُمتنا في الماضي وأيضاً في الحاضر نرى أثر هذه الآفة وضررها الكبير الذي لحق بالأمة، هذه النوعية من الناس في أوساط الأمة المهووسون بالسلطة، الذين يمكن أن يعملوا أي شيء بأمتهم، أن يرتكبوا أي جرم، وأن يَقدُمُوا على أي حماقة، أن يفعلوا أي شيء في مقابل الوصول للسلطة، هم كثر. كثر في تاريخ أمتنا، وفي حاضر أمتنا.

والبلاء الشديد الذي ألحقوه بالأمة، والضرر البالغ الذي لحق بالأمة من خلال هوسهم ونتيجةً لطمعهم وجشعهم، هو ملحوظ طال كل شيء في واقع الأمة في دينها ودنياها، في أخلاقها، في قيمها، في عزتها، في كرامتها.

وللأسف الشديد؛ مما ساعد هذه النوعية داخل أوساط الأمة: هو التفاف الكثير من الناس حولهم. عندما يلتف حولهم الكثير من الناس لقصور وعيهم وضعف إيمانهم -وعوامل أخرى سيأتي الحديث عنها -تحل الكارثة الحقيقية بالأمة، وتكون النتائج السلبية التي لا حدود لها تطال كل شيء في واقع الأمة أمراً ملحوظاً.

حب المال

من الآفات الكبيرة: حب المال، النزعة المادية التي هي قائمة وموجودة لدى الكثير من الناس، فمقابل الحصول على شيء من المال هو مستعد أن يعمل أي شيء، أن يرتكب أي جرم، أن يكون في صف أي مبطلين أو مجرمين أو مضلين، لا معيار لديه في موقفه لا الحق ولا رضا الله سبحانه وتعالى، ولا القيم، ولا الأخلاق ولا المبادئ، المعيار هو المال، هو كل شيء عبادة.. عبادة للمال هو كل شيء، من يدفع له أكثر ويُقدِّم له المال فسيعمل له أي شيء مهما كان جُرماً وذنباً ومسيئاً ومخالفاً لنهج الإسلام، ولا ينسجم لا مع قيم ولا مع أخلاق.

هذه الآفة نرى أيضاً ضررها في عصرنا هذا، ربما الملايين من الناس داخل شعوب أمتنا لا يزال المؤثِّر الأكبر عليهم في توجههم، في مواقفهم، في خياراتهم التي يحسمونها في أي صف يكونون، ومع أي طرف هو هذا المؤثر المال.. المال، ودوره السلبي في واقع الأمة معروفٌ.. معروف.

وللأسف الشديد؛ يمكن للأمة أن تنال ما منحها الله من البركات والرزق والخير، بعزة

وشرف واستقامة بدون أن تُعَبِّد أنفسها للطواغيت، وبدون أن تسترزق لدى مجرمين ولدى سيئين.

هذا العامل كان عاملاً مؤثراً في أحداث كربلاء، في مأساة عاشوراء، والكثير من الناس الآلاف ممن تحركوا لقتال الإمام الحسين ‹عليه السلام› تحركوا لهذا السبب مقابل المال، وعندما هُدِّدُوا بمحو أسمائهم من الديوان - والديوان عبارة عن السجلات الرسمية التي فيها أسماء من لهم مقرَرات من المال العام، ومعاشات من المال العام - عندما هُدِّدُوا بمحو أسمائهم من الديوان انطلق الكثير منهم ليقف في وجه الإمام الحسين، في وجه سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ضد الحق، ضد العدل، ضد القرآن، في جناية على الإسلام كانوا مستعدين لفعل أي شيء وبشكل فضيع وبدون أي قيم أو مبادئ، تجاوزوا حتى الواقع الإنساني وحشية فضيعة جداً، هذا العامل المؤثر الموجود هو من العوامل البارزة التي تتحكم في موقف الكثير من الناس على مستوى الحاضر والماضي.

الكثير من أبناء الأمة الإسلامية، الكثير من المسلمين لم يعد يقيس موقفه على أساس من الحق، يعني: هل أنا على حق في موقفي أم لا؟ هل أنا على حق في اتجاهي أم لا؟ هل أنا على حق في عدائي أو ولائي أم لا؟. هذه مسألة لم تعد ذات أهمية نهائياً ولا يحسب لها حساب، أصبح هناك أسس أخرى يُعتمد عليها ومن خلالها يُتخذ الموقف، وعلى أساسها تُبنى المواقف وتُتخذ القرارات، وتُحدد المسارات، ويتحرك الكثير من الناس، في مقدمة هذه المال، فالكثير من أبناء الأمة كان جاهزاً ومستعداً لاتخاذ أي موقف يُطلب منه، قتلاً أو سباً أو حقداً أو كُرهاً أو حصاراً، أي ممارسة، أي عمل مهما كان بشعاً، مهما كان سيئاً في مقابل الحصول على المال، طمع، هذه تربية الباطل التي تُفسد الإنسان وتُحوِّله إلى إنسان جشع، وطمّاع لدرجة فضيعة جداً، فيصبح جاهزاً لاتخاذ أي موقف مهما كان بعيداً عن القيم والأخلاق والمبادئ و.. و.. إلى آخره.

في مقابل الحصول على المال مستعد أن يعمل أي شيء حتى لو قُتل الحسين سبط رسول الله، وحتى لو عاد رسول الله من جديد وكان الأمر يستلزم أن يقتل رسول الله لم يكن يتحرَّج من فعل ذلك، المهم هو الحصول على المال، تربية الباطل التي تُربي على حالة رهيبة من الجشع والطمع والحرص والشح الذي يوصل الإنسان إلى مستوى فضيع ومتدني جداً، مع أن موقف القرآن الكريم يُربي الإنسان على التقوى، يُزكّي نفسية الإنسان من حالة الطمع والشح والجشع والهلع، يُزكّي نفسيته ويُربِّيه على البذل والعطاء والإحسان والجود والكرم وما إلى ذلك.

ونجد كيف أن زعماء قبائل الكُوْفَة تغيّر موقفهم من أول ما استدعاهم عُبيد الله ابن زياد وأعطاهم الذهب الدنانير المال، وبسرعة غيروا موقفهم تجاه الإمام الحسين ‹عليه السلام› وتحولوا إلى جند مجنَّد لصالح الباطل وفي صف الباطل.

القرآن الكريم يُحذِّر الإنسان من أن يكون هكذا جشعاً، وأن يكون اندفاعه ولهثه وراء المال بأي ثمن حتى على حساب دينه وأخلاقه وقيمه؛ بل وحتى إنسانيته، والله سبحانه وتعالى يُقدِّم لنا الدرس والعبرة من واقع كل أولئك الذين باعوا أنفسهم وباعوا دينهم وباعوا أخلاقهم وباعوا مواقفهم في الدنيا من أجل المال فظلموا وضلوا يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ﴾ [يونس:٥٤] إن هول العذاب وسوء العذاب وشدة العذاب وفظاعة العذاب يوم القيامة لدرجة يتمنى كل ظالم أن لو كان له ما في الأرض بكلها من المال ليفتدي به من عذاب الله، ما في الأرض بكله، ولو أتينا إلى كل الذين ظلموا كم حازوا من الأرض؟ كم حازوا؟ كل الذين ظلموا من كل البشرية.

الإنسان يوم القيامة يتمنى لو كان له كل الأرض ذهباً ومثله معه، ومثله معه ليفتدي به من العذاب، وما أكثر من باع نفسه وباع مستقبله الأبدي يوم القيامة بثمنٍ تافه ورخيص!. أرخص نفسه وأضاع مستقبله الدائم والعظيم مقابل الشيء التافه الحقير، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٤٧] كل ما في الأرض، كل ما فيها من أموال في ظاهرها وباطنها، أموال وخيرات وإمكانات ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ كل ما في الأرض ويضاف إليه ضعفه مثله ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر:٤٧].

وهنا يتجلَّى لنا خسارتهم، تتجلَّى لنا خسارتهم ويتضح لنا مدى سوء عاقبتهم، فعلاً خسارة كبيرة جداً إذا كان الإنسان يتمنى يوم القيامة لو أن له كل ما في الأرض في ظاهرها وباطنها من الإمكانات، والأموال، والخيرات لكان حاضراً أن يفتدي به نفسه من ذلك العذاب الشديد، بينما هو باع نفسه وأهلك نفسه وأوبق نفسه وخسر نفسه ومستقبله بشيء تافه، قليل قليل جداً من المال لا يساوي ما في مستوى مثلاً دولة، افترض دولة معيَّنة بكل ما فيها من خيرات؛ بل قدَّم لنا حسرتهم، مشهداً من مشاهد حسرتهم وندامتهم ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٨] ﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ﴾، لم يفدهم ولم ينفعهم ولم يفعل لهم شيئاً ولم يدفع عنهم عذاب الله.

الخوف

من العوامل المؤثر جداً أيضاً الخوف، الخوف عامل مؤثِّر، والكثير أيضاً بما أنه انطلق الآلاف لقتال الإمام الحسين ‹عليه السلام›. رغبةً وطمعاً في القليل من المال وواقع الناس واقع الأمة على مستوى كبير يطال كثيراً من جماهيرها في كل العصور أن يندفعوا وأن يتأثروا بهذا العامل.

عامل الخوف أيضاً هو عامل مؤثرٌ سلباً في الكثير من الناس، فالكثير ينقصهم الخوف من الله سبحانه وتعالى الذي من الحق والواجب أن نخاف منه فوق كل شيء ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥] ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١٣] لكن هذا العامل عند قاصري الوعي وناقصي الإيمان كان مؤثراً.

لقد كفى هذه النوعية من الناس داخل الكُوْفَة دعاية.. دعاية أخافتهم.. أخافتهم وجعلهم ينطلقون بالآلاف وهم حريصون على أن يُنفِّذوا مهمتهم الإجرامية القذرة بحق سبط رسول الله وأُسرته ومن معه من أتباعه الأبرار الأوفياء، وبكل جِدّ وحريصين أن لا يقصروا، أن لا يُتهموا بالتقصير فيعاقبوا، كفاهم دعاية واحدة.

نشر ابن زياد دعاية في الكُوْفَة: أن جيش الشام قادم، وأنكم إن لم تخرجوا لقتال الحسين فإن جيش الشام سيهدم دوركم وسيقتل وسيفعل. فانطلق الكثير منهم وبكل سرعة حذرين من التقصير، وحريصين على أن يؤدوا مهمتهم بالشكل الذي يرضي ابن زياد.

لقد بلغ واقع الحال أن ابن زياد كان لديه ثلاثين شرطياً.. ثلاثين شرطياً، والآلاف هم أولئك الذين أثَّر عليهم بهذه العوامل، جمهور الكُوْفَة، الآلاف من أبناء الكُوْفَة، أثَّر عليهم البعض بعامل المال، البعض بعامل الخوف، البعض بالتضليل وزعماؤهم وكبارهم الذين هم توَّاقون إلى السلطة وعندهم النزعة التسلطية بالوعود ببعض المناصب والتي لم يصلوا إليها بما فيهم عمر ابن سعد، لم يحظ أبداً بمُلك الرَّي وكان الواقع كما أنذره الإمام الحسين ‹عليه السلام›.

الشيء المؤسف عندما نعرف أن مجتمع الكُوْفَة هو مجتمع عاش بينهم الإمام علي ‹عليه السلام›، عاصمة الإمام علي ‹عليه السلام›، والكثير من أولئك هم كانوا ضمن جيش الإمام علي ‹عليه السلام›، حاربوا مع الإمام علي ‹عليه السلام›، ثم كانوا في الأخير هم الجيش الذي يتمكن ابن زياد ومعه ثلاثين شرطياً من التأثير عليهم وتحريكهم بأجمعهم في الموقف الإجرامي الفظيع، والجناية الكبيرة على الإسلام وعلى القرآن وعلى الأمة، على الأمة على مدى مستقبلها.

حينما تنمى حالة الخوف في نفوس الناس من الطغاة والظالمين والمجرمين يفقد الناس ثقتهم بربِّهم وثقتهم بأنفسهم فيكونون مهيئين لأن يندفعوا وبسرعة وبدون ثمن بدون مقابل، إنما نتيجةً لحالة الخوف، وفريق كبير من الناس تؤثِّر فيهم حالة الخوف وتُعُّد عاملاً أساسياً لتحديد مواقفهم التي ينطلقون فيها ويتبنونها.

عامل العصبية

عاملٌ آخر من العوامل المؤثرة في كثير من الناس: العصبية، العصبية التي تُبنى عليها التبعية العمياء، إما عصبية قبلية لقبيلته، أو طائفية لمذهبه، [أو حزبية لحزبه، أو عنصرية لعنصره]، وبالتالي يتحرك فوراً في أي اتجاه دون أن يتحقق فيما هو عليه هل هو على الحق أو على الباطل؟.. لا. قالوا: هيا إلى قتال الرافضة. قال: هيا، وبادر.

العصبية كما ورد تفسيرها في الحديث هي: أن تُعين قومك على الظلم، تتحرك معهم وهم هم المخطئون الظالمون الجائرون المعتدون. وللعصبية تأثيرها في واقع الأمة بشكل كبير.[1]

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٣٤ هـ.

ارتكاب المعاصي

يعمد الطواغيت دائماً إلى إشاعة الفساد بين الناس، ونشر الرذيلة لمعرفتهم بأثرها في تدمير قيم الناس وأخلاقهم وبالذات قيم العزة والرجولة وتحويلهم إلى أمة ضائعة تائهة مسخوط عيها من قبل الله.

اليوم لم تعانِ البشرية في كل ما قد مضى من تاريخها مثل ما تعاني اليوم من النشاط الهائل لنشر المفاسد الأخلاقية، قنوات تنشر مشاهد خليعة لنشر المفاسد الأخلاقية وتدمير القيم الأخلاقية، الجرائم تنشر اليوم في قنوات كثيرة جداً يجب الحذر من مشاهدة هكذا قنوات أو أي وسائل أخرى في الإنترنت، الإنترنت اليوم فيه الكثير والكثير من الوسائل من المواقع والصفحات المخصصة أو التي لها هذا النشاط تنشر مفاسد أخلاقية وتغوي في الجانب الأخلاقي، فتدنس النفوس وتنتشر المفاسد والزنا والجرائم الأخلاقية إلى مناطق كثيرة من العالم، الى أشخاص كثيرين كانوا قبل أن يتورطوا وأن يصغوا وأن يرتبطوا بوسائل إعلامية من هذا النوع كانوا نزيهين، كانوا شريفين، كانوا طاهرين، كانوا محافظين على أنفسهم من الدنس ومحافظين على أعراضهم وشرفهم من الدنس، ولكن كان الذي جرهم إلى فساد أخلاقي هو متابعة قنوات فضائية نشرت مشاهد مغرية فاسدة مفسدة، أو في الإنترنت مواقع على الإنترنت.

الشباب اليوم والشابات يجب أن يكونوا حذرين جداً منها، أن يحموا أنفسهم منها من البداية، لا تذهب لتدخل إلى موقع في الانترنت فتتطلع إليه فيوسوس الشيطان في صدرك فيغويك ويضرب فيك القيمة المعنوية الأخلاقية، وزكاء النفس، شرف النفس، طهارة النفس، فيغويك ومع هذا نشاط كبير للتواصل والتعارف وبشكل أعمى وبشكل غير منضبط ينشط مثلاً في مواقع التواصل الاجتماعي ينشط الكثير من الشياطين، الذين لهم هذا العمل وهذا الشغل يعمل على الإيقاع بالآخرين، إما شيطان يحاول أن يوقع بالكثير من الفتيات يوقعهم في الفساد الأخلاقي، أو شيطانة توقع بالكثير من الشباب في الفساد الأخلاقي فتبدأ بالمراسلة التي فيها المراودة والوسوسة والتزيين للمعصية والإغراء بالمعصية حتى الإيقاع في المعصية.

هذه اليوم واحدة من أفظع الآفات المنتشرة والخطيرة جداً على الشباب والشابات وعلى الرجال والنساء جميعا، ويجب الحذر منها بشكل كبير والاحتماء منها والحذر منذ البداية منها، فالذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس، اليوم يمتلك الوسائل التي تساعده على ذلك بأكثر مما قد مضى في تاريخ البشرية.[1]

●●●

(١) من دروس شهر رمضان ١٤٣٨هـ.

من أهم العبر والدروس من عاشوراء

١ـ الحذر من عوامل السقوط، وضرورة الارتقاء الإيماني

ولذلك؛ الدرس المهم لنا الذي يجب أن نستفيد منه هو: الحذر من عوامل السقوط، وأن ندرك ضرورة الارتقاء الإيماني الذي يمنح الإنسان تماسكاً عند المزلاَّت، ويكون له دفعاً وعوناً للإستمرار والاستقامة والثبات.

كل فرد منا يجب أن يدرك جيداً أن عليه أن يتعامل بجِدِّية مع هدى الله سبحانه وتعالى، أن يبني واقعه الإيماني وانطلاقته الإيمانية على أساسٍ صحيح. على أساس صحيح؛ لأن التهاون في مرحلة ما قبل الاختبار أحيان تأتي حوادث كبيرة تُمثِّل اختباراً كبيراً للإنسان في توجهه واندفاعه، في هذه المرحلة التي يتهاون فيها الإنسان، ويتعامل بلا مبالاة ويُقصِّر في كثير من واجباته ومسؤولياته، ويُهمل تجاه الأشياء المهمة التي يجب أن يكون مسارعاً فيها ومبادراً إليها.

الإنسان بهذا يُسبب لنفسه أن يهدم نفسه، تأتي الأحداث الكبيرة والتطورات الخطيرة وهو لم يحسب حسابها ولم يرتقِ إلى مستواها، وبالتالي يجد نفسه أمامها في موقف لم يكن يتوقعه، لم يكن يتوقع من نفسه أنه سينحرف إلى ذلك المستوى من الانحراف أو يسقط إلى ذلك الحدّ من السقوط.

ولربما الكثير من الجيش الذي تحرك لقتال الإمام الحسين ‹عليه السلام› بما فيهم الآلاف الذين كانوا من جيش الإمام علي نفسه لم يكن يخطر ببالهم أنهم يوماً من الأيام سيكونون في ذلك الموقف، يوماً من الأيام يتحركون لقتل سبط رسول الله وهم يعلمون من هو، يعلمون مقامه العظيم في الإسلام، يعلمون أنه من يجب أن يتبعوه، أن يهتدوا به، أن يحبوه، أن يقدروه، أن يدركوا مقامه العظيم كوريث لجده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، يعرفون فداحة الجُرم المرتكب بحقه، ومع هذا فساد النفوس والانحطاط الكبير وضياع القيم والأخلاق والمبادئ، كانت قد أوصلتهم إلى درجة لا يبالون معها بأن يرتكبوا مثل هذا الإجرام، ومثل هذه الحماقة.

يجب على كل فرد منا أن يدرك أهمية هذا الأمر، نحن في مرحلة خطرة، وأمام تحديات كبيرة، وفتن كثيرة كقطع الليل المظلم، والعوامل نفسها التي أدَّت إلى سقوط الآلاف من ذلك المجتمع الذي كان يحكمه علي، ومن ذلك المجتمع حتى مجتمع المدينة مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وبقية المجتمعات الإسلامية التي كانت قد وصلت إلى حالة من التدجين، ومن التضليل، ومن ضياع القيم والأخلاق والمبادئ، جعلتها قابلة بأي ظلم بأي جريمة، بكل ما حصل.

المسألة خطرة جداً يجب أن يسعى الإنسان إلى بناء واقعه الإيماني، ويكون حريصاً على

الارتقاء المستمر في وعيه، في إيمانه، حذراً من التقصير، حذراً من التفريط، حذراً من التهاون، يدرك أن التهاون نتيجته سلبية وكبيرة على الإنسان في مستقبله وأمام أي تحديات قد يُفاجأ الإنسان بها وهو غير مستعدٍ لها.

ولندرك أن الأسلوب الشيطاني لاستدراج الإنسان هو قائمٌ على أساس الخطوات، خطوات الخطوة تلو الخطوة وبتدرج حتى يوصل الإنسان إلى مستوى سيء نتيجة تهاونه، نتيجة لا مبالاته، نتيجة غفلته، ولذلك حذرنا الله سبحانه وتعالى من اتباع خطوات الشيطان.

خطوات الشيطان تسير بالإنسان في أحد اتجاهين: إما اتجاه الإقدام على الآثام، الإقدام في الباطل، عندما يدفعه إلى أن يقف في صف الباطل نتيجة مال، أو نتيجة وظيفة، أو نتيجة مصلحة آنية يخسر بسببها مستقبله الكبير مع الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة.

أو خطوات أخرى باتجاه التراجع فيستدرجه ليخرجه عما هو عليه من حق وتوجه سليم وصادق، ويفسد نفسيته ليهيئه للسقوط أكثر فأكثر حتى يصل إلى الموقف والحال الأخطر.[1]

٢. من مدرسة كربلاء نعرف كيف يجب أن تكون معاييرنا

أ. الحُرّ بن يزيد الرِّيَاحي قدَّم درساً لمن يتم التغرير بهم ليتحركوا مع الباطل ثم يعودون إلى الحق:

نلحظ كيف يجب أن تكون الحسابات الصحيحة، الناس ينسون ويتغافلون ويتجاهلون الأشياء المهمة، عندما تطرأ الكثير من الأحداث والمتغيرات تكون الدوافع لدى الكثير من الناس دوافع سيئة ليس لديه أي معايير قرآنية ولا إيمانية، فلا يُحسب حساب المسؤولية أمام الله سبحانه وتعالى، ولا يُحسب حساب الموقف للحساب والسؤال يوم القيامة، ولا تُحسب حساب مرضاة الله سبحانه وتعالى، وهكذا يبقى المعيار الذي يحسب الإنسان حساباته عليه هو المصلحة الآنية التي هي متاعٌ زائل والخسارة بعده كبيرة.

الحسابات الصحيحة للإنسان المؤمن الذي يراجع موقفه على أسس صحيحة فيحسب الحسابات الكبيرة مثلما كان موقف الحُر بن يزيد الرياحي عندما راجع نفسه وهو اتجه بدايةً في صف الباطل في جند يزيد في طلائع جيش عمر ابن سعد، وهو وصل في البداية ليكون هو أول من يصل إلى الإمام الحسين ‹عليه السلام›..

لكن هذا الرجل عندما أعاد حساباته وراجع نفسه وعلى أسس صحيحة سرعان ما غيَّر موقفه واتجه الاتجاه الصحيح قبل أن تبدأ المعركة، بدأ يراجع نفسه، وبدأ يحسب الحسابات التي يبني عليها موقفه، وظهر عليه التردد تارةً يتقدم وتارةً يتأخر، وعندما سأله أحد القريبين

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٣٤هـ.

منه عن سبب هذه الحيرة، هذا التفكير، هذا التردد قال: إني أُخيِّر نفسي بين الجنَّة وبين النار، ووالله لا أختار على الجنَّة شيئاً.

واتجه إلى معسكر الإمام الحسين ‹عليه السلام› ليلتحق به معلناً توبته وإنابته إلى الله، نادماً على ما كان منه أثناء تحركه في صف الباطل، وما عمله وهو يتحرك في البداية عندما ضايق معسكر الإمام الحسين ‹عليه السلام› ومنعه من التقدم إلى الكُوْفَة وأعاقهم عن الوصول إلى هناك، تاب إلى الله وأناب وحرص على أن يأذن له الإمام الحسين ‹عليه السلام› أن يكون هو أول من يقاتل الأعداء، مثلما كان هو أول من تحرك في طليعة الجيش، حرص على أن يُكفِّر موقفه هذا بأن يكون هو أول من يقاتل الأعداء، وأذن له الإمام الحسين ‹عليه السلام› وقال كلمته المشهورة: «**أنت حرٌ كما سمَّتك أمك حُراً**».

هذه هي الحرية، الحرية الحقيقية التي تجعل الإنسان كريماً عزيزاً يتخذ الموقف الصحيح، لا يُستعبد ويُسَيِّر في صف الباطل للظلم والجريمة مقابل شيء من حطام الدنيا، ومصالح الدنيا الآنية.

نحن في هذا الزمن أمام المتغيرات الكبيرة والعوامل المؤثرة التي - كما قلنا - هي نفسها أحوج ما نكون للاستفادة من هذه الدروس، وأملنا إن شاء الله أن يوفقنا الله وإياكم أن نكون من المهتدين الصادقين الثابتين مع الله سبحانه وتعالى، نتحرك مع الله بثبات ووعي وصدق.[1]

فالحُرّ بن يزيد الرِّيَاحي هذا الرجل الذي كان في بداية الأمر جندياً يتحرك في صف الباطل، يتحرك مع أهل الباطل، هذا الموقف هو موقف سيستفيد منه أي إنسان داخل الجيش اليمني أو غيره من الجيوش العربية التي تتحرك في صف اليهود والنصارى ضد الحق والخير والإيمان، وضد أخيار هذه الأمة.

كل جندي بقي فيه ذرة من الإيمان، ذرة من الشرف، بقي لديه قابلية للهداية والصلاح، فإن موقف الحُرّ بحقٍ هو موقف مفيد ونموذجي.

هذا الموقف يجب أن يفكر كل إنسان هل هو في الموقف الذي يوصله إلى رضوان الله؟ هل أنت في موقف نهايته الجنة؟ أم أنك في موقف نهايته النار؟ يجب أن يقيس الإنسان قياساته وحساباته هكذا: في أي موقف أنت؟ ومع من؟ وفي أي طريق؟ وإلى أين؟ إلى أين؟ هل إلى الجنة في طريق رضا الله جل وعلا؟ أم أنك في الموقف الذي يوصلك إلى النار؟.

ب) عمر بن سعد نموذج للمرتزقة المنافقين

الموقف الذي يوصل إلى النار ليس هو فقط موقف الذي تقف فيه مقاتلاً ضد الحق؛ ولكن أيضاً الموقف الذي تقف فيه خاذلاً للحق، كلاهما يوصل إلى النار، كلاهما ساهم في

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٣٤ هـ.

قيام الطغيان، في قيام الظلم، في قيام الفساد، في أن يسود الباطل والمنكر، هذا موقف مهم.

نلحظ موقفاً آخر، موقف إنسان مخذول، مخذول وخائب، موقف عمر بن سعد الذي خُيِّر بين أن ينطلق في القتال مع الباطل ضد الإمام الحسين، على أن ينال رتبة وظيفية، ولاية الرَّي، منطقة مثلما تقول محافظ، محافظ يتولى منطقة معيَّنة، ولاية منطقة اسمها «الري» ، وقف لليلة كاملة يفكر ويردد شعراً يقول فيه:

فَـوَ اللّه مَـا أَدْري وَإنِّي لَحَـائرٌ ... أُفَـكِّـرُ فِيْ أَمْـري عَـلَى طَـرَفَين؟
أَأَتْـرُكُ مُلْكَ الـرَّيّ، وَالـرَّيّ مَنيَّتيْ؟ ... أَمْ أَرْجِـعُ مَـأَثُوماً بِقَتْلِ حُسَـيْـنِ ؟!
وَفِيْ قَتْلِهِ الْنَّارُ الَّتِيْ لَيْسَ دُوْنَهَا ... حِـجَابٌ وَمُـلْكُ الْـرَّيّ قُـرَّةُ عَـيْنِ

كان يعرف أنه عندما يتحرك ضد الحق، ضد الإمام الحسين ‹عليه السلام› أن مصيره النار، وأنه إلى النار، فأين يختار النار وطريق توصله إلى النار من أجل أن يملك الرَّي، أو يخسر الرَّي ويسلم من النار؟؛ لكنه خاب وخسر، واختار قليلاً زائلاً لم يظفر به، لقد تحرك عمر بن سعد ضد الإمام الحسين ليملك الرَّيّ وبعد أن قتل الإمام الحسين لم يظفر بذلك، لم يملك الرَّيّ.[1]

٣ـ قلة البصيرة والوعي تجعل الأمة ضحية

يقول السيد حسين ‹رضوان الله عليه› وهو يتحدث عن أسباب ما حصل لمسلم بن عقيل:

يلاحظ الناس كيف تكون عواقب الأمور، قد مضى في التاريخ أحداث كثيرة مثل هذا، عندما يتجمع الناس ويكون عندهم ولاء وكارهين ليزيد؛ لكن تلاحظ كيف لأنهم لم يكن عندهم بصيرة ليس عندهم فهم، فعندما خرج بعض كبارهم يتحدثون معهم ويخوفونهم بجيش أهل الشام (أنه قادم وسيعملون بكم وسيعملون) تفرقوا عن مسلم بن عقيل كلهم، فكيف كانت عواقبهم؟ لم يسلموا، في الأخير يجمعهم ابن زياد في المسجد ويهددهم ومن بعد يسوقهم إلى قتال الحسين ‹عليه السلام›! نفس تلك المجاميع التي كانت قد تجمعت مع مسلم بن عقيل.

لو صدقوا معه وثبتوا تلك الساعة واقتحموا القصر على ابن زياد وقتلوه وانتظروا مقدم الحسين ‹عليه السلام› لكان أفضل لهم وأفضل للأمة من بعدهم إلى الآن.

ما الذي يطلب من شعبنا اليوم؟

وفعلاً هكذا هي خطورة قلة الوعي والبصيرة أليس البعض اليوم - ونحن في مواجهة غزاة معتدين يحملون وحشية الشمر وحقد عبيد الله بن زياد وطغيان واستهتار يزيد - يريد لبلدنا أن يستسلم وأن يستجيب للطغاة المعتدين بدل أن يستجيب لله ويتحرك في مواجهتهم؟

(١) من خطاب السيد عبد الملك بمناسبة عاشوراء ١٤٢٩ هـ

ماذا يريد هؤلاء؟ يريدون أن يأتي الغزاة المتوحشون فيستبيحون حرماتنا ويقتلون الناس بلا رحمة ويسوقون من تبقى منا ليكونوا وقوداً لحروبهم الظالمة يريدون أن يعملوا بنا أعظم مما عمله يزيد بأهل المدينة ومكة بعد أن يكون الله قد غضب علينا لكن هيهات أن يصغي شعبنا الحر الأبي يمن الإيمان والحكمة لمثل هذه الدعوات التي تصدر من جبناء وعملاء باعوا أنفسهم للشيطان وأولياء الشيطان فشعارنا سيبقى هو شعار الإمام الحسين ‹عليه السلام› «**هيهات منا الذلة**» وخيارنا هو خيار الإمام الحسين سبط رسول الله وحفيده من قال فيه: «**حسين مني وأنا من حسين**».

٤. لم يحصل مقارنة بين ما كان يمكن أن يحصل مع ثباتهم وما سيحصل مع خذلانهم وتراجعهم

يقول السيد حسين ‹رضوان الله عليه› في دروس من وحي عاشوراء:

ذلك التفريط هو الذي جعل أهل العراق قبل أهل الشام يصلون إلى كربلاء فيحاصرون الحسين ‹عليه السلام› وأهل بيته، وجعلهم قبل أهل الشام يوجهون النبال إلى صدره، وهم من عاش بينهم علي ‹عليه السلام› سنين يحدثهم ويعظهم ويرشدهم، لماذا؟ ما الذي أوصلهم إلى هذا الحد؟ هم فرّطوا، وعندما يفرّط الإنسان فيما يسمع ستأتي البدائل المغلوطة، إما أن يتلقاها من أمثاله ممن يفهمون الأمور فهماً مغلوطاً، ممن لا يعرفون عواقب الأمور، أو من جهة نفسه هو فيكون هو من يحلل، ومن يحاول أن يضع لكل قضية حدّاً معيناً، يظن أنها لا تتجاوزه، ربما كانوا يتصورون أن الحسين هو المشكلة، يمكن أن يُصَفَّى الحسين وتبقى الأجواء طبيعية.

بعد أن قُتل الحسين ‹عليه السلام› هل بقيت الأجواء طبيعية؟ هل استقر وضع أهل العراق أم بدأ العراق يغلي، أم بدأت النكبات والكوارث تتابع على أهل العراق جيلاً بعد جيل إلى هذا العصر الذي نحن فيه؟ لم يسلم أهل العراق، لم يسلم لهم دينهم، لم تسلم لهم دنياهم، لم تسلم أنفسهم.

ويقول في حديثه عن (مسلم بن عقيل):

المشكلة عندما لا ينظر البعض إلا إلى نقطة واحدة، ينسى مثلاً بأنه لو فرضنا القضية فيها خوف؛ فإن الخوف الأشد الذي يجب أن يخاف منه هو أن تستحكم قبضة العدو هذا أشد لأنه ستكون أضراره أشد، يعيش طول حياته حالة إذلال له هو ومَن بعده، أيضاً غضب الله؛ لأن القضية ليست سهلة يتصور الواحد بأنه سيجلس في بيته ويستقر وليس له علاقة ويتصور بأن الباري سيمسح على رأسه ويقول له: ابق مكانك ولن يحصل عليك شيء، لا. هو في الأخير يعرّض نفسه لغضب شديد، قُتل كثير منهم هؤلاء الذين جلسوا، قتلوا وأهينوا ودمرت بيوتهم من بعد.

ما الذي يعنينا من هذا الدرس؟

هذا الدرس المهم نحتاجه اليوم ونحن في مواجهة هذا العدوان الاستعماري الغاشم: أن نقارن بين تضحياتنا اليوم ونحن مستجيبون لله ومجاهدون في سبيله في مواجهة غزاة محتلين وبين ما سيحصل فيما لو تخاذلنا، صحيح أننا نضحي اليوم ولكنها تضحيات لها ثمرة، من هذه الثمرة: أن من يقتل منا في مواجهة هؤلاء المجرمين هو شهيد بكل ما تعنيه الكلمة، أيضاً سنحصل على رضوان الله سبحانه وتعالى والعزة والكرامة والحرية والاستقلال لبلدنا وأن يسلم من شر الاحتلال وفوق هذا كله سلامة الدين والخير من الدنيا إلى الآخرة.

وماذا سيحصل لو تخاذلنا وضعفنا واستسلمنا؟ لو تخاذلنا - لا سمح الله - سيحصل سخط الله وغضبه ولن نسلم فإذا كنا نضحي اليوم بعشرات الآلاف في سبيل الله ودفاعاً عن عزتنا وكرامتنا وحريتنا واستقلالنا فإننا في حالة الاستسلام سنقتل بمئات الآلاف في سبيل الشيطان ونعيش - إن عشنا - في خزي وعار وذلة ويرزح بلدنا تحت الاحتلال ونستعبد ويستعبد أولادنا وأحفادنا ونخسر الدنيا والآخرة.

٥. خطورة الارتباط بأشخاص يتقلبون ويتبدلون ويتلونون حسب مصالحهم وأهوائهم ورغباتهم وأن يكون ارتباطنا بمن أمرنا الله أن نرتبط بهم من أعلام الهدى الذين يشكل الارتباط بهم صمام أمان للناس في دينهم ودنياهم.

يقول السيد حسين ‹رضوان الله عليه›: لأن الناس عندما يرتبطون بأشخاص من النوعية الذين يتقلبون، هذه حصلت في كثير من مراحل التاريخ، قد يرتبطون مثلاً بزعيم من زعمائهم أو كبير من كبار العشائر وبمجرد أن يحصل على مبلغ مالي يتغير ويتحول ثم ينطلق يخذِّل الناس.

مسلم بن عقيل ألم يكن موجوداً؟ كان المفترض أن يرتبطوا به مباشرة لكن ما الذي حصل عندما لم يرتبطوا به تأثروا بأشخاص آخرين جاؤوا يخذِّلونهم، وكل واحد ذهب من عند مسلم بن عقيل وهم يحاصرون القصر، وفي الأخير ما الذي حصل بعدها؟ بدأ العد التنازلي بالنسبة لهم من بعد كيف جمعهم في المسجد وفتش بيوتهم وفي الأخير يسوقهم إلى قتال الإمام الحسين ‹عليه السلام›!.

اليوم ما الذي يريده لنا طواغيت العصر؟

اليوم ما الذي يريده لنا الانهزاميون الجبناء؟ أليسوا يريدون لنا أن نتخلى عن صمام الأمان بالنسبة لنا، أن نستسلم بدلاً من الصمود والثبات، ألم تتبدل مواقفهم مقابل حفنة

من الدولارات ووعود كاذبة من الأمريكيين والإماراتيين؟ هل مثل هؤلاء يقتدى بهم ويعول عليهم؟ لا والله هؤلاء هم من سينكبون الأمة التي تركن إليهم وتثق بهم. وهل سيسلم الناس الذين يسيرون خلفهم ويصدقونهم؟ لا، والله لن يسلموا، هم يريدون من أتباعهم أن لا يتحركوا لمواجهة الغزاة لبلدهم وقد قتلت أطفالهم ونسائهم ليتيحوا الفرصة للغزاة والمحتلين أن يدخلوا بلدهم وينتهكوا أعراضهم وينهبوا ثرواتهم ثم لن يسلم أتباعهم سيسوقونهم في الأخير لقتال الأحرار من أبناء بلدهم كما عمل عبيد الله بن زياد بأهل العراق، ألم يدفع بمن تركوا الجهاد مع الإمام الحسين ‹عليه السلام› استجابة لكبار عشائرهم إلى مواجهة الإمام الحسين في كربلاء وقتله هو وأهل بيته وأصحابه، ثم ساقهم لإخضاع بقية الأمة؟ فلم يبق أحد ممن تخلف عن الجهاد في سبيل الله إلا وقتل في سبيل يزيد وعبيد الله بن زياد. هذه هي الخسارة التي ليس بعدها خسارة، نعوذ بالله.

٦. هناك دروس مهمة جداً للرجال وللنساء للكبار وللصغار من المهم فهما واستيعابها

وبحمد الله شعبنا اليمني العظيم تعلم الكثير من مدرسة الإمام الحسين ‹عليه السلام› وقدم الكثير من الأمثلة العظيمة والمشرفة من خلال رجاله ونسائه وأطفاله في مواجهة هذا العدوان الغاشم في مقارعة الجاهلية الأخرى وبرزت المرأة اليمنية مثلاً يحتذى به في العالم كله في صبرها وصمودها وثباتها وهي تقدم أباها أو أخاها أو أبنها أو زوجها بل البعض تقدم كل هؤلاء في سبيل الله بكل فخر واعتزاز.

ما الذي حققته ثورة الإمام الحسين ‹عليه السلام›

يقول السيد عبد الملك حفظه الله:

لولا أنَّ الإمام الحسين ‹عليه السلام› واجه مسلك الانحراف الذي بلغ ذروته بقبول الكثير من أبناء الأمة أن يتولى يزيد بما اشتهر به من الفجور والفساد والخمر والسكر والجهل والاستهتار بالدين وغير ذلك أمر الأمة، ويحكمها ويتحّكم بها، لولا الإمام الحسين أنه واجه هذا المسلك لطُمست معالم الإسلام فلا يبقى لها أثر، ولكن ثورة الإمام الحسين ‹عليه السلام› ضمنت للإسلام استمراريته، وأنقذت المجتمع الإسلامي من التناسي العام والمطلق للقيم والمبادئ، ولذلك فهي ثورة العدل في مواجهة الظلم، وثورة الخير في مواجهة الشر، وثورة الحق ضد الباطل، وثورة الأخلاق والقيم على الطاغوت المفسد في الأرض.

بقي أن نعرف لماذا نحيي ذكرى عاشوراء؟

إن إحياءنا لهذه الذكرى هو واحدٌ من تعابير حُبِّنا وولائنا وارتباطنا بسيد الشهداء الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «**حسينٌ مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، حسينٌ سبطٌ من الأسباط**».

وهو أيضاً واحدٌ من تعابير ارتباطنا بالمنهج والرؤية والموقف التي تَحرَّك على أساسها ومن خلالها وبها الإمام الحسين ‹عليه السلام› وهي: رؤية القرآن الكريم، وهي: منهجية الإسلام العظيم، وهي: مسلك رسول الله محمد صلى الله عليه وآله..

وإحياؤنا لهذه الذكرى هو تخليد لنداءات ومواقف الحسين ‹عليه السلام› بكل عطاءاتها وآثارها الإيجابية العظيمة في أنفسنا وواقعنا وبكل ما تُزودنا به في عزمنا، واندفاعنا، وتفاعلنا، وإحساسنا بالمظلومية، وإحساسنا بعِظَم مأساة الأمة التي استهدفت حينما استهدف الحسين بكل ما يُمثِّله الحسين في نهجها القويم، وفي عزها ومجدها، وفي قيمها ومبادئها، ووقع ما وقع من محسوبين عليها، وبتخاذلها، وحدث كل ما حدث في كربلاء بكل بشاعته وسوئه وفظاعته وقبحه، في الوقت الذي هي تنتمي للإسلام دين العدل، دين القيم، دين الأخلاق.

هذا الإحساس بالمظلومية وبالمأساة وهذا الشعور يُحيي فينا روح المسؤولية والتفاعل حتى لا نكون كما البعض بلا إحساس، وبلا شعور فلا يتفاعلون مهما كان حجم المأساة، ولا يُدركون مهما كان مستوى الخطر، ولا يَعون ولا يفهمون مهما كان حجم المؤامرات، ولا يتحركون مهما كان حجم المسؤولية، كما هو حال ميت الأحياء.

وإحياؤنا لهذه الذكرى تعبيرٌ أيضاً عن موقفنا المبدئي الإيماني الديني ضد الظلم والظالمين في كل زمان ومكان، وتجاه أفظع جريمة في تاريخ الأمة، وداخل الأمة على أيدي محسوبين عليها، من يستسيغها يمكن أن يستسيغ ويتقبَّل ويُشرعن أي ظلم، وأي فساد، وأي إجرام، وأن يقدّسه، فالذين يقدِّسون من مضى من الظالمين هم اليوم أنصار الظلم وحملة رايته في حاضر الأمة.

تلك الجريمة التي فتحت أبواب الشر كلها على الأمة وكانت فاتحة سوء داخل الأمة؛ لأنه حينما استهدف الحسين سبط رسول الله، وسيد شباب أهل الجنة بكل ما له من قداسه، وبموقعه العظيم في الإسلام، وبمكانته الكبيرة كرمز للأمة، وهاد في درب جَدِّه المصطفى محمد صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، ووريث لجَدِّه خاتم النبيِّين، يُمثِّل قيم الإسلام، ويحمل مبادئه، ويرفع رايته، بعد ذلك لم يبق شيءٌ من المقدسات والحُرمات يتحاشى الطغاة والظالمون من المساس به، ولذلك عَمدوا بعد قتله ‹عليه السلام›. إلى استباحة مدينة جَدِّه رسول الله وقتلوا من تبقى فيها من أبناء المهاجرين والأنصار وبالذات من أبناء المجاهدين

في وقعة بدر ثأراً للكفر والكافرين، واستباحوا فيها حُرمة الدم، وحرمة العِرض، وحرمة المال لثلاثة أيام متوالية، وأحرقوا الكعبة المشرفة ودمروها آنذاك فيما بعد، وهكذا بلغ الحال بهم، وحينها لم يبقَ أي قيمة للأمة لديهم، ولا لدينها، ولا لمقدساتها، ولا لرموزها، فحكموها بمنهجية الطغيان.

نسأل الله أن يثبتنا على نهج الإمام الحسين وأن يرحم شهداءنا ويشفي جرحانا وأن يفرج عن أسرانا وأن ينصرنا على القوم الظالمين.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

١٠ محرم ١٤٣٩هجرية

●●●

المحتويات

المقدمة ٣
الشعب اليمني يعيش مظلومية كربلاء ٥
شعبنا له ارتباط وثيق، وامتداد أصيل بالإمام الحسين ‹عليه السلام› ٥
شعبنا يتزود من هذه الذكرى قوة الإرادة والعزم، وصلابة الموقف، والثبات الدائم ٦
من هو الإمام الحسين؟ ٧
الوضعية التي كانت قد وصلت الأمة إليها عند ثورة الإمام الحسين في ظل تحكم بني أمية على هذه الأمة ... ٩
غابت القيم والأخلاق من واقع الأمة، نتيجة ذلك الاستهداف لها من الحكم الأموي ٩
تحريف المفاهيم الدينية ١٠
في بعض من الحالات استوى واقع الأمة في إسلامها وفي جاهليتها ١٢
بنو أميّة عملوا على تغييب أهل البيت من ذاكرة الأمة ١٣
هلاك معاوية وصعود يزيد ١٣
الإمام الحسين يُطلب منه البيعة ليزيد ١٤
الإمام الحسين يقرر الثورة ويتجه صوب مكة ١٦
وداع الحسين لقبر جده المصطفى ١٦
الإمام الحسين يخرج من مدينة جده المصطفى ١٦
كانت مسؤولية الإمام الحسين تجاه أمة جده تفرض عليه أن يتحرك في أوساطها وأن يدعوها إلى التحرك ورفض الباطل ١٨
الإمام الحسين ثار ليخلص الأمة من واقع الظلم الرهيب ٢٠
الإمام الحسين بخروجه جسد قيم الإسلام ٢٠
الإمام الحسين لم يكن شخصاً غريباً ٢١
ويزيد أيضا لم يكن شخصا مجهولا ٢٢
مسلم بن عقيل مبعوث الحسين ‹عليه السلام› ٢٣
ابن زياد يعمل على اكتشاف مكان مسلم بن عقيل ٢٥
الجاسوس يدخل على مسلم بن عقيل ٢٦
ابن زياد ومعرفته بتركيبة المجتمع واستغلالها ٢٧
مسلم بن عقيل وحيداً في أزقة الكوفة ٢٨
الإمام الحسين يتجه صوب العراق ٣٢
زهير بن القين البجلي ٣٣
الحر بن يزيد الرياحي مقدمة طلائع جيش ابن زياد ٣٤
الحسين يحط رحاله في كربلاء ٣٧
الإمام الحسين على أرض كربلاء يوضح أهداف خروجه ٣٨
الإمام الحسين ‹عليه السلام› وضع بين خيارين ٣٩
وقبل المعركة ٤٠
الإمام يستدعي عمر بن سعد ٤٠
موقف الحُرّ بن يزيد الرِّيَاحي ٤١
على ساحة كربلاء تجلت أروع البطولات ٤٢
من مواقف الأوفياء ٤٣
برير بن خضير ٤٦
نافع بن هلال ٤٦
مسلم بن عوسجة ٤٦

سعد بن عبد الله الحنفي..... ٤٦
مواقف التضحية في كربلاء..... ٤٦
حنظلة بن أسعد الشبامي ٤٦
عابس بن أبي شبيب الشاكري ٤٧
سيف بن الحارث وأخوه مالك ٤٧
يزيد بن زياد الكندي ٤٧
سويد بن أبي المطاع ٤٧
علي بن الحسين‹عليه السلام› ٤٧
العباس بن علي..... ٤٨
الطفل في كربلاء..... ٤٩
الأم في كربلاء ٥٠
الزوجة في كربلاء ٥٠
زينب تقف أمام المشهد في ساحة كربلاء ٥٢
موكب الإباء في الكوفة ٥٢
موقف عبد الله بن عفيف الأزدي..... ٥٤
رأس الحسين ‹عليه السلام› في الشام عند يزيد..... ٥٤
موكب الإباء عند يزيد في الشام ٥٥
السيدة زينب تفضح يزيد ٥٦
علي بن الحسين يرد على يزيد..... ٥٨
موكب الإباء يعود إلى المدينة المنورة ٥٩
عاقبة الظالمين والساكتين..... ٦٠
الأمة بخذلانها للحق تدفع ضريبة باهظة ٦١
ما الذي أوصل الأمة إلى ما وصلت إليه؟..... ٦٤
هل كانت فاجعة كربلاء وليدة يومها؟ ٦٤
وهل قصر رسول الله ‹صلى الله عليه وعلى آله وسلم› في تربية هذه الأمة وتزكيتها؟ ٦٤
فكيف حصل التغير في واقع تلك الأمة؟..... ٦٥
لقد اعترى هذه الأمة بعد نبيها ما اعترى سابقاتها من الأمم بعد أنبيائها ٦٥
من دلالات مأساة كربلاء ٦٦
الإمام الحسين لا يخص مذهباً ٦٧
يجب أن تتعزز وتترسخ الثقافة الحسينية في الثورة على الظالمين والطغاة..... ٦٨
الحسين ‹عليه السلام› يُمثل بحقّ مدرسة إسلامية متكاملة ٦٩
من مدرسة الحسين ننطلق في هذه المسيرة رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً..... ٧١
الأحداث والمتغيرات ودورها في كشف واقع الناس..... ٧٤
أبرز عوامل السقوط ٧٤
يتفرع عن هذا العامل الأساسي عوامل متعددة في مقدمتها: ٧٥
التضليل..... ٧٥
حب السُلطة..... ٧٥
حب المال..... ٧٦
الخوف..... ٧٨
عامل العصبية..... ٧٩
ارتكاب المعاصي ٨٠
من أهم العبر والدروس من عاشوراء..... ٨١

١ـ الحذر من عوامل السقوط، وضرورة الارتقاء الإيماني ٨١
٢ـ من مدرسة كربلاء نعرف كيف يجب أن تكون معاييرنا ٨٢
أ ـ الحُرّ بن يزيد الرِّيَاحِي قدَّم درساً لمن يتم التغرير بهم ليتحركوا مع الباطل ثم يعودون إلى الحق: ٨٢
ب) عمر بن سعد نموذج للمرتزقة المنافقين ٨٣
٣ـ قلة البصيرة والوعي تجعل الأمة ضحية ٨٤
ما الذي يطلب من شعبنا اليوم؟ ٨٤
٤ـ لم يحصل مقارنة بين ما كان يمكن أن يحصل مع ثباتهم وما سيحصل مع خذلانهم وتراجعهم ٨٥
ما الذي يعنينا من هذا الدرس؟ ٨٦
٥ـ خطورة الارتباط بأشخاص يتقلبون ويتبدلون ويتلونون حسب مصالحهم وأهوائهم ورغباتهم وأن يكون ارتباطنا بمن أمرنا الله أن نرتبط بهم من أعلام الهدى الذين يشكل الارتباط بهم صمام أمان للناس في دينهم ودنياهم. ٨٦
اليوم ما الذي يريده لنا طواغيت العصر؟ ٨٦
٦ـ هناك دروس مهمة جداً للرجال وللنساء للكبار وللصغار من المهم فهما واستيعابها..... ٨٧
ما الذي حققته ثورة الإمام الحسين ‹عليه السلام› ٨٧
بقي أن نعرف لماذا نحيي ذكرى عاشوراء؟ ٨٨